الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة
Emir Abdelkader University of Islamic sciences
Constantine

كلية:	أصول الدين	Faculty:	
قسم:	قسم الدعوة، الإعلام والاتصال	Departement :	

عنوان المطبوعة

Title of the Dissertation

✓ مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة:	✓ السداسي: الأول
الثالثة ل م د Academic Pedagogical Publication Addressed to:	Semester :

✓ الميدان:	أعلام الدعوة الإسلامية ومؤسساتها في الجزائر	Domain:	
✓ الشعبة:	الدعوة والثقافة الإسلامية	Field or subfield:	
✓ التخصص:	الدعوة	Specialization:	
إعداد الأستاذ(ة):	البشير قلاتي	Submitted by:	

اعداد الأستاذ(ة): البشير قلاتي Submitted by: ----------

السنة الجامعية (Current Academic Year):

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة–

كلية أصول الدين

قسم الدعوة، الإعلام والاتصال

مطبوعة مادة :

أعلام الدّعوة الإسلاميّة ومؤسّساتها

في الجزائر

مطبوعة محاضرات موجّهة لطلبة السنة الثالثة

شعبة الدعوة و الثقافة الإسلاميّة

نظام: L.M.D

السّداسي الأول

إعداد: د/ البشير قلاتي .

محاور

مادة أعلام الدعوة الإسلامية ومؤسساتها

في الجزائر.

-المحور الأول:

مدخل مفاهيمي:

مفهوم أعلام الدعوة الإسلامية في الجزائر، مؤسسات الدعوة ، أهميّة المادة ومبررات دراستها..

- **المحور الثاني** : من أعلام الدعوة الاسلامية في الجزائر.
  - الأمير عبد القادر، حياته ، نشاطه الدعوي الإصلاحي.
  - عبد القادر المجاوي. حياته ، نشاطه الدعوي الإصلاحي.
  - عبد الحليم بن سماية ، حياته ، نشاطه الدعوي الإصلاحي.
  - محمد مصطفى بن الخوجة، حياته ، نشاطه الدعوي الإصلاحي.
  - المولود بن الموهوب، حياته ، نشاطه الدعوي الإصلاحي.
  - الفضيل الورتلاني، حياته ، نشاطه الدعوي الإصلاحي.

-المحور الثالث: من مؤسسات الدّعوة الإسلامية في الجزائر.

(الجمعيات الدينية والثقافية و زوايا القرآن والعبادة)

* الجمعيات الدينية والثقافية، جمعية العلماء المسلمين نموذجا.

* الزوايا: زاوية الهامل نموذجا.

مراجع المادة:

أهم المراجع:

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3،وج 7 ، ط1،بيروت:دار الغرب الاسلامي ،1998م.
- أبو القاسم سعد الله،الحركة الوطنية الجزائرية،ج2،ط3،الجزائر:ش،و،ن،ت،1983
- يحي بو عزيز ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، دار الغرب الإسلامي ، ج 2 بيروت ، 1995
- تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية،ط2،الجزائر:ش ،و،ن،ت،1981م.
- عبد الرحمن بن خلدون،تاريخ العلامة ابن خلدون،ج1،دط،بيروت:دار الكتاب اللبناني.
- عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس،ط1،بيروت:دار الشهاب1999
- عمار الطالبي ، بن باديس حياته وآثاره،ط2 بيروت:دار الغرب الاسلامي ،ج1.
- مالك بن نبي ، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، بدمشق: دار الفكر.
- مالك بن بني ، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، د،ط، دمشق: دار الفكر1406هـ/1986م
- مالك بن نبي ، مذكرات شاهد للقرن مالك بن نبي ،م، س،ص الطفل الطالب ،ط2 ،الجزائر ودمشق :دار الفكر 1404هـ/1984م.
- برونو إتيين، عبد القادر الجزائري،ط2،الجزائر:المؤسسة الجزائرية للاتصال والنشر والاشهار،2001
- الامير عبد القادر، بُغية الطالب على ترتيب التجلي بكليات المراتب،ط1، بيروت:دار الكتب العلمية، 1425هـ/ 2004م
-الأمير عبد القادر ، كتاب المواقف الروحية و الفيوضات السبوحية،ط1،بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م.
- الفضيل الورتلاني،الجزائر الثائرة، ط3،الجزائر:دار الهدى،1992م
- أنور الجندي – الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا – الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة – 1385 هـ1965.
- زكي محمد مجاهد – الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية – دار الغرب – بيروت – 1994م.
- محمد كرد علي – المعاصرون – دار صادر – بيروت – 1413هـ= 1993م.
_عمر بن قينة، أعلام و في الفكر والثقافة والادب ،دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق2000م.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

المحاضرة الأولى:

المحور الأول: (مدخل عام).

- **مفاهيم الدراسة (مفهوم الدعوة، أعلام الدعوة، أهمية دراسة سير أعلام الدعوة...)**
- **الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تحت نير الاستدمار الفرنسي في الجزائر....**

- تمهيد:

اختلف الباحثون في تعريف الدعوة الاسلامية ، حيث نجد لها تعريفا واحدا متفقا عليه، ، ، ولعلنا نقرأ في بعض الدراسات الأكاديمية من يحاول تحديدها بأنها : "ذلك الجهد المنهجي المنظّم الهادف إلى تعريف الناس بحقيقة الاسلام ، وإحداث تغيير جذري متوازن في حياتهم على طريق الوفاء بواجبات الاستخلاف ابتغاء وجه الله والفوز بما ادخره لعباده الصالحين في عالم الآخرة".(1)

وسنتناول في دراساتنا هذه الدعوة على أنها: حركة إصلاح وتغيير شامل ، تهدف إلى بناء مجتمع متحضّر، يتمثل الاسلام ،عقيدة وشريعة وأخلاقا، .....والتحرك به على طريق النهضة والتقدم الإجتماعي الشامل .....(2)...

من هنا يتّضح لنا أن الدعوة الاسلامية جهد حضاري إصلاحي شامل مستمر ،يهدف أساسا الى توعية الناس بقيم الاسلام السمحة ومن ثمة إحداث التغيير النفسي والاجتماعي ،بتربية أفراد المجتمع للالتزام برسالة الاسلام كاملة ،عقيدة وشريعة وسلوكا، باتباع منهج الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، باستخدام كافة الوسائل المشروعة لتحقيق الشهادة على الناس وفعالية المسلم في تعمير الارض.

المبحث الأول : مفهوم الإصلاح :

1/ الإصلاح:

1) الطيب برغوث،((منهج النبي (ص) في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية)) ،((رسالة ماجستير)) كلية أصول الدين،قسم الدعوة والاعلام،جامعة الأمير عبد القادر،قسنطينة، الجزائر،1992م،ص12

2)- البشير قلاتي، دراسات في مسار وواقع الدعوة الإسلامية في الجزائر، الجزائر، إقرأ ، ط1، 2007م، ص 87، 88.

أ – في اللغة :

جاء في لسان العرب : صلح : الصّلاح : ضد الفساد ، صَلَح ، يَصلَحْ و يصلُح صلاحاً و صلُوحاً و الإصلاح نقيض الفساد.

و أصلح الشيء بعد فساده : أقامه .

الصلح : تصالح القوم بينهم و الصلح : السلم و قد أصلحوا و صالحوا و تصالحوا .

قوم صلوح : متصالحون كأنهم وصفوا بالمصدر3.

و حسب قاموس تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي فإن الإصلاح لغة من : الصلاح ضد الفساد ، من فعل (ص . ل . ح) بالفتح كقنع ، و نصر . و (ص . ل . ح) بالضم ككرم . و الصالح هو الجابر لأموره ، و أعماله. و جمعه صالحون ، و صلحاء ، و مصلحون . و أصلح الشيء ضد أفسده ، أي أقامه ، و عدله ، و سواه بعد أن كان فاسدا .

و من المجاز : أصلح إليه أي أحسن إليه و أصلح الدابة : إذا أحسن إليها فصلحت و صارت صالحة للاستعمال .

و أصلح الشيء : أي تعهده ، و توكل أمر إصلاحه ، و الصلح بالضم : أي التسوية بين الأطراف المختلفة بالسلم و الصلح .

و الصلاح ، و الإصلاح من الصلح ، الذي هو من صلح ، و الذي هو ضد الفساد . و اصطلحا ، و تصالحا أي : اتفقا .....

ب _ في الاصطلاح :

3- ابن منظور: لسان العرب ، مج.2 ، ج.2 ، دار الكتاب العلمية ، ط.1 ، بيروت ، 2005 ، ص.295

في القرآن الكريم فقد وردت لفظة : (صلاح) أو أحد مشتقاته في القرآن الكريم مائة و ثمانين مرة و بصيغ و معاني عدة ، تارة مقترنا بالسَّكينة والطُّمأنينة كقوله تعالى ﴿ وَ أَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ (محمد : 2) ، و تارة بمعنى العناية بالمتقين كقوله : ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (الأحزاب : 71) و تارة مقترنا بإصلاح ذات البين كقوله تعالى : ﴿ وَ أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ (الأنفال:1) ، و قال : ﴿ وَ اللهُ يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِنَ المصْلِحِ ﴾ (البقرة : 220) ، وتارة نقيض الفساد كقوله تعالى : ﴿ وَ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ﴾ (الأعراف : 56) ، و قال أيضاً مقترنا دلك بالإصلاح بين فريقين : ﴿ وَ إِذَا قِيْلَ لَا تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُوَاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ (البقرة : 11) ، و تارة مقترنا بتوثيق العلاقات الأسرية كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَاۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ (النساء : 35).

و قد وردت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، منها قوله : " ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ، فنمى خيراً أو يقول خيراً"4 .

- أعلام الدعوة والإصلاح في الجزائر:

من هم أعلام الدعوة في الجزائر...؟

هم القائمون على حركة الدعوة ، وهم العلماء من رجال الحركات الإصلاحية في الجزائر، ممن رسموا منهجا لتغيير أوضاع المجتمع الجزائري .وإصلاحها ومحاولة الانتقال بالمجتمع إلى وضع جديد من الانعتاق والتخلص من السلبيات :فكرا وسلوكا وتحقيق الإصلاح والتحرك الإيجابي على طريق النهضة والتقدم الحضاري....

ويشمل ذلك علماء حركة النهضة والإصلاح ممن زخر بهم تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كما لا يستثني الرجال الأبطال ممن جمعوا بين حركة الجهاد المسلّح ضد الاستدمار الفرنسي وبين الحركة العلمية الثقافية التنويرية مثل حركة الأمير عبد القادر و من أمثال: الشيخ العلامة المصلح: عبد القادر المجاوي، والشيخ الصالح بن مهنا والأستاذ المولود بن الموهوب والشيخ البشير الابراهيمي، والطيب العقبي، العربي التبسي....الفضيل الورتلاني، ابراهيم بيوض ، والشيخ اطفيّش.....

لا تعني هذه الدراسات قطع الصلة بين الإصلاحية الإسلامية في الجزائر وبين قرينتها في المشرق الإسلامي ،لأن الصلة بينهما لا يمكن إنكارها ؛باعتبار أن اللحمة الدينية التي صنعتها ونمتها روح الوحدة الإسلامية(العروة الوثقى) في ذلك الوقت لم تكن لتدع مجالا للقطيعة المتوهمة التي قد تغذيها العصبية المنتنة التي يسر لها العدو المتربص،،،وهنا نكتشف سر

4- البخاري : صحيح البخاري ، كتاب : الصلح ، باب : ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس ، حديث (2692)

زيارة الإمام الإصلاحي الكبير محمد عبده لتونس والجزائر بدايات القرن العشرين،،،ولا أحد منا ينكر دور مجلة(العروة الوثقى) في إيقاظ الوعي الديني والجهادي بين الطلبة في الجزائر ،كما سيأتي.....

بدايات القرن العشرين زاد انتشار فكر الجامعة الإسلامية ومنهجها في التغيير والإصلاح خاصة بعد زيارة الشيخ (محمد عبده) للجزائر عام 1903م ولقاؤه ببعض علماء الجزائر، وكان لمجلة العروة الوثقى ثم المنار تأثير كبير يتداولها الطلبة والشيوخ، ويدل على ذلك أن الشيخ (بن سماية) اعتبر (المنار): " مدد الحياة "كما سيأتي . (5)..

فطنت الإدارة الاستعمارية لخطورة هذا الفكر، فأصدرت قرارها عام 1908 بمنع الحج، وقد عزت معظم الثورات في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين إلى دعاية الجامعة الإسلامية وإلى التعصّب والتطرف الديني كما يذكر المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله.(6).

غير أن المشكلة الأساسية بالنسبة لفرنسا،- والتي لم تجد لها حلاً حاسما- هو كيفية قمع أو حتى الحد من الأفكار التحررية؛ فإن كان من الممكن نفي الأشخاص أو حتى قتلهم ، فكيف لها بنفي الأفكار أو قتلها ؟....؛ ....إذ أنّ الفكرة الحيّة لا تموت بموت صاحبها بل تزداد انتشاراً ...

- أهمية دراسة أعلام الدعوة في الجزائر:

لا عجب أن كانت الدعوة مهمّة الانبياء والرسل ،وهم أشرف الخلق، اعتبرها القرآن أحسن ما يفعله المسلم :"ومن أحسن قولا ممّن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين "
(فصلت /33)،،، هي دعوة للخير قولا وعملا ؛ لا تعرف فصلا للقول عن العمل،:"يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون". (الصف/2، 3)

أهمية الدّعوة إلى الله.

(1) - ، عمار الطالبي، ،ابن باديس،حياته وآثاره، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1403 هـ/1983 م، الجزء 1، ص ص 25 ... 27 و 34 .

(6- أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الحركة الوطنية الجزائرية ، ط3 ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983م ، ج 2 ، ص 123 .

تُعتبر قضايا الدعوة من أكثر القضايا التي يثيرها الكتّاب والمفكرون في هذا العصر؛ نظرا للأصل الشّرعي الذي اعتبرها أحسن القول ، الآية السابقة (فصلت/33)، من جهة، ولارتباطها- من جهة أخرى- بجملة التّغيرات الاجتماعية محليا وعالميا؛ باعتبار أهدافها التّغييرية والحضارية،وما يثيره ذلك من حساسيات ومطارحات ،خاصة في هذه الظروف التي تعيشها أمتنا : ضعف في الداخل وقهر من الخارج....

كما نشير إلى أن سوء فهم الدعوة ومهمات الداعية قد يؤدي إلى نتائج عكسية(إحداث الفساد بدل الإصلاح)كما هو ملاحظ عند كثير من حركات التغيير العنيف المتلبّسة بالاسلام ،قال تعالى:"وإذا قيل لهم لا تُفسدوا في الأرض قالوا إنّما نحن مُصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ، ولكن لا يشعرون" .... (البقرة12/11).

ولاعتقادي بأهمية دراسة تجارب الدعاة من رجال الاصلاح فإني أقرر أن المراد من هذه الدراسات ليس مجرد السرد التاريخي الوصفي ،السّيري، بل محاولة تحقيق الفهم والاستفادة من تجارب الدعوة والإصلاح بهدف رسم منهج للتغيير الإيجابي على طريق نهضتنا ؛لاعتقادي أن الدراسة الواعية لهذه التجارب كفيل بإنارة طريقنا للنهضة،وهو منهج قرآني أصيل في محتوى آيات القصص القرآن:"

"لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب..."(يوسف/ 111)،،،

كما أن الملاحظ في أوساطنا المتعلمة الجهل وربما التجاهل لجهود الكثير من علماء الجزائر ورجال الدعوة والإصلاح فيها ،،،مما جعل بعضهم ينكرون ومن ثمّ يتنكرون للدور البارز الذي قام به هؤلاء في سبيل نهضة الجزائر و إعلان ثورتها الجهادية ضد المستدمر الفرنسي الغاصب؛ إذ لا ينبغي إغفال الدور التربوي الفعال الذي قام به ثلة من العلماء والدعاة وما قامت به جمعية العلماء المسلمين في بث الفكر التحرري والوعي بواجب حماية الوطن والدفاع عن كرامة الشعب ضد الإستدمار الفرنسي ،وربما يكون السبب راجع من جهة إلى تقصير الإعلام عندنا في التنويه الكافي بهؤلاء العلماء الدعاة ، والتقصير الملاحظ في المغرب الاسلامي عموما في حركة التدوين وتسجيل والوقائع خلافا لما عليه عند إخواننا المشارقة ،وهو ما يفسّر قلة المراجع وشحّها الشديد في دراسة سير وجهود أعلام الدعوة والإصلاح في الجزائر ،،؛ ما جعل كثير من علماء الجزائر غرباء في وطنهم،،،

ملاحظة:

يلزمنا الاقتصار على ذكر بعض هؤلاء العلماء الدعاة ممن كان لهم تأثير كبير في الساحة الدعوية والثقافية،دون أن يعني ذلك غمط غيرهم حقهم الذي لا يُنكر :" ولا تبخسوا الناس أشياءهم"(الأعراف 85)،،لكن المقام لا يسعنا لذكر الجميع،فاقتصرنا على من بعضهم،مع الاشارة إلى أهم مؤسسات الدعوة التي يمبعث منها جهد الاصلاح والتربية

الاسلامية ، من خلال ابراز دورها الكبير في احتواء جهود الدعوة واحتضان دعاتها ، الجمعيات الدينية الثقافية الاصلاحية والزوايا الدينية...

المحاضرة الثانية

خصوصيات الوضع في الجزائر وتحدياته:

تمهيد :

كانت الجزائر مطمعا لكثير من القوى الصليبية الحاقدة ،نظرا لمكانتها الاقتصادية والتجارية وموقعها الجغرافي الممكتاز وهي تطل على البحر الأبيض المتوسط،،،،،وكانت عين فرنسا ، التي كانت من بين القوى الدولية الحاقدة، تقع على الجزائر وتتحين الفرصة للإنقضاض عليها ، خاصة بعد معركة نافارين وانكسار الأسطول الجزائري، .....تمكنت القوى الاستعمارية من احتلال الجزائر في 1830م،وهكذا فتحت على الجزائر صفحة تاريخية قاتمة حالكة السواد من خلال سياسة شيطانية للمسخ والفسخ القضاء على أدنى مقومات الانسانية في هذا الشعب المسلم الأعزل.....

_ أهم التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت حركة الاصلاح والدعوة في الجزائر:

في إطار دراسة أعلام الدعوة في الجزائر لا يمكننا إغفال خصوصيات وواقع التحديات التي واجهت حركة الدعوة،والتي أرى ضرورة التعريج على ذكر أهم هذه التحديات التي تعرض لها الشعب الجزائري وهو يعاني مرارة أبشع أنواع الاستدمار في التاريخ....

- مظاهر مسخ الشخصية الجزائرية:

يؤكد أحد القادة الفرنسيين (جاك مادول jacque madoul) وهو على أن فرنسا استطاعت أن تحوّل الجزائر إلى مملكة للبؤس!!! (7).ولا شك أن ذلك تم على قواعد للمسخ والفسخ المادي والمعنوي الذي عملت عليه حملة هذا الاستدمار الذي يسمى استعمارا....

7 -تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية،الجزائر :الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،د، ت،،ص ص84...87، 91

*المسخ الثقافي: بما أن من أن أهم قواعد الاستعمار :أنك اذا أردت أن تصنع من شعب خادما مطيعا فاسلب منه شخصيته أو امسخها (8)....ولهذا حرص الاستدمار الفرنسي إلى القضاء التام على مقومات الشخصية الجزائرية: الاسلام واللغة العربية ،فرسم لذلك خطة دقيقة لتحقيق هدفه الاستراتيجي (الاستيطان الدائم في ارض الجزائر) فأقام سياسته على أربع قواعد:

1-التنصير 2-نشر الخرافية 3-التجهيل 4-الفرنسة

1- التنصير :

اصطحب الجيش العسكري الغازي معه جيشا من المنصّرين ...الذين لم يكن هدفهم، بالضرورة، إدخال المسلمين في المسيحية بل كان هدفهم الاساس اخراجهم من الاسلام ولو بقوا دون دين ،،،وقد انتشر هؤلاء مستغلين ظروف البؤس والفاقة التي يعاني منها الجزائريون لتنصيرالاطفال ،وقد كان الجنرال (بيجو Bugeau)مبدع سياسة الارض المحروقة في الجزائر يأتي باليتامى الى القسيس ويقول له:"حاول يا أبت أن تجعلهم مسيحيين ،واذا فعلت ذلك فلن يعودوا ليطلقوا النار علينا"!! ...وقد كانت مجاعات عام 1868/1867م والتي راح ضحيتها مئات الآلاف وما أعقبها من أمراض الكوليرا والتيفوس فرصة لهؤلاء لتنصير المسلمين بقيادة الكاردينال (لافجري) 9...ولم يكتف هؤلاء بذلك بل حاولوا جاهدين فرض التفرقة العنصرية بين أفراد الشعب الجزائري المسلم؛ وذلك باسقطاب سكان بلاد القبائل باقناعهم أن أصولهم غالية،وحاولوا استبدال القوانين الاسلامية بأخرى مما جعل السكان يثورون بقياداتهم الدينية ،،،،فكانت خيبة الاستدمار الفرنسي بذلك كبيرة، حيث عرف أن الاسلام أكثر تجذرا في النفوس مما كانوا يظن.

2-تشجيع الخرافية:

وهي غير الخرافات كموضوع بل الخرافية كمنهج تفكير ينتج الخرافات ويقوم على اللاسببية والتفسير الماورائي للظواهر، وهذا المنهج حرصت دوائر الاستعمار على نشره بين الشعب ضمن رسالتها الحضارية المزعومة ،ولذلك عمدت على

---

8 -ينقل الدكتور علي شريعتي عن أحد المفكرين الغربيين قوله :"اذا أردت أن تستخدم شخصا وتجعله خادما مطيعا وتطمئن الى وفائه لك، عليك أن تسلب منه شخصيته ؛لأنه إذا كانت له شخصية لا يمكن أن يكون خادما جيدا".....!! " أنظر: علي شريعتي ،االإنسان والإسلام ،ط1 بيروت:دار النهضة،1412هـ/1992م،ص71

9 -تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس ،د ط ،الجزائر ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ،ص 44 ،45

تشجيع الطرق الموالية لها، ماديا وأدبيا ،بما تحمل من قدرية عمياء وتقوقع ذاتي ودعوة للخلاص الفردي وهو ما يبرر للإستعمار وجوده.

ويمكن اعتبار الطرقية – على هذا النحو- ممثلا صادقا للاستعمار الداخلي الذي يهيّء الأرضية للاستعمار الخارجي .

وقد عمد الاستعمار على صنع من هؤلاء آلات بشرية لتقوم بدورين:

-كمحلول تخديري ،يخدر العقول ويشل الارادات .

-كأبواق للدعاية له في المحافل وفوق المنابر.

ومن جهة أخرى حرص على تكوين نخبة من المنتسبين للجزائر اسما المنسلخين عنها روحا وثقافة ،وكان يسميهم (جماعة النخبة)،،،بما يوحيه هذا اللقب من تمييز وفوقية .

3-التجهيل والفَرنسة:

يؤكد الكثير من الباحثين ،-حتى من الفرنسيين أنفسهم- أن التعليم بين الجزائريين كان مزدهرا قبل دخول الفرنسيين (الذين جاؤا لنشر الحضارة حسب زعمهم!!)، ومن ذلك ما ذكره النائب الفرنسي (طوكفيل Tangvill) عام 1847م وما كتبه الجنرال (ولسن استرهازي welsson Esterhazy) واسماعيل اربان حيث أكد الاخير أن نسبة المتعلمين من الجزائريين كانت أكثر من الفرنسيين ،حيث أن45% من الفرنسيين كانوا أميين (10)....

ويصرح أحد جنرالاتهم أمام مجلس النواب في جلسة 20 يناير 1834 :" أن جميع العرب تقريبا يعرفون القراءة والكتابة ، ويوجد في كل بلدة مدرستان ". أما الأستاذ(إيميري) فقد أشار إلى أنه كان في قسنطينة وحدها قبل الاحتلال خمسة وثلاثون مسجدا تستعمل كمراكز تعليم ،كما كان هناك سبع مدارس ثانوية يحضرها بين ستمائة وتسعمائة طالب ،يدرسّ فيها أساتذة محترمون لهم أجور عالية ،أما المدارس الابتدائية فقد كان هناك تسعون منها يحضرها ألف وثلاثمائة وخمسون تلميذا..(11) .

---

10 -تركي رابح ،م،س،ص 45، 94

أنظر أيضا: أبو القاسم سعد الله ، ، الحركة الوطنية الحركة الوطنية الجزائرية ، ط3 ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983م ، ج 2 . ،ص61

(11)- أبو القاسم سعد الله ،م،س،ص 62 .

وادراكا منها لخطورة التعليم على مصالحها في الجزائر وتهديده لبقائها ،فقد وضعت إدارة الاستدمار الفرنسي استراتيجية خبيثة للقضاء على التعليم،فقد كتب الجنرال (دوكرو) عام 1864م تقريرا الى (نابليون الثالث) اسماه"تقرير حول الوسائل التي يجب استعمالها من أجل فرض السلام في الجزائر "،يقول في تقريره هذا :"يجب علينا أن نضع العراقيل أمام المدارس الاسلامية والزوايا [لاحظ] كلما استطعنا الى ذلك سبيلا..وبعبارة أخرى يجب أن يكون هدفنا هو تحطيم الشعب الجزائري ماديا ومعنويا!!."12....

عمد الفرنسيون على القضاء على المقوّم الثاني للشخصية الجزائرية وهو اللغة العربية في الادارة والتعليم ،واستبدالها بالفرنسية،حى خشي بعض الغيورين من ضياع اللهجة العامية ذاتها ،فما بالك بالفصحى!!...وفي الوقت الذي حرص فيه الاستدمار على غلق المدارس حرص على فتح بعض الزوايا، التي تخدم أهدافه، حتى بلغت خلال القرن التاسع عشر 349زاوية،بعدد مريدين قدر بحوالي 295000مريد(13).

فماذا فعلت فرنسا بعد الاحتلال للجزائر إزاء ذلك ؟.يجيب أحد مؤرخيهم وهو السيد (موريس وول) قائلا: "أول ما بدأنا به هو القضاء على المسيدات (أي المدارس) والزوايا الريفية والمدارس العليا وغير ذلك من المعاهد الإسلامية المتواجدة قبل عام 1830.."(14).

الإصلاح هدف للدعوة الإسلامية ((إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ،وما توفيقي إلا بالله العظيم ، عليه توكّلت وإليه أنيب)).

(هود/88)

12 -مصطفى الاشرف، الجزائر ، الامة والمجتمع،الجزائر:م،و،ن،ت،ص 128 ،129

2) -عمار الطالبي ، بن باديس حياته وآثاره،ط2 بيروت:دار الغرب الاسلامي ،ج1، ،ص18

(14)- المرجع السابق، نفس الصفحة.

المحور الثاني:

من أعلام الدعوة في الجزائر في العصر الحديث

- الأمير عبد القادر، حياته ، نشاطه الدعوي الإصلاحي.
- عبد القادر المجاوي. حياته ، نشاطه الدعوي الإصلاحي.
- عبد الحليم بن سماية ، حياته ، نشاطه الدعوي الإصلاحي.
- محمد مصطفى بن الخوجة، حياته ، نشاطه الدعوي الإصلاحي.
- المولود بن الموهوب، حياته ، نشاطه الدعوي الإصلاحي.
- الفضيل الورتلاني، حياته ، نشاطه الدعوي الإصلاحي

المحاضرة الثالثة:

الأمير عبد القادر ، ثقافته وحركته الإصلاحية.
(1807-1883م)

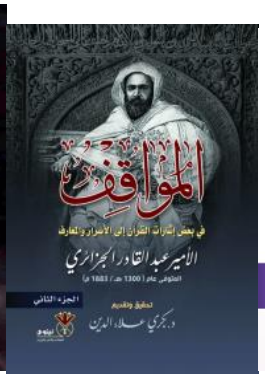

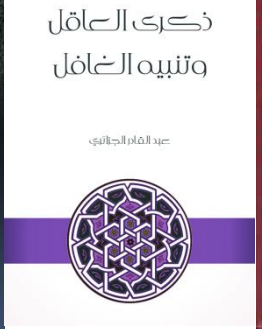

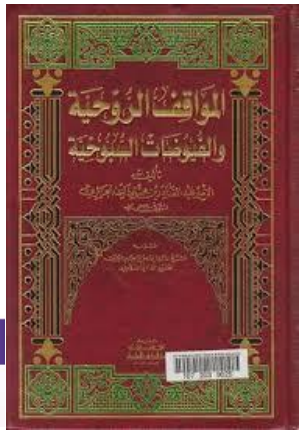

عناصر المحاضرة.

- تمهيد
- ثقافة الأمير عبد القادر الجزائري .
- المجاهدة (تزكية النفس) أصل الجهاد.
- تصوف الأمير عبد القادر .
- ثقافة الأمير وشاعريته.
- تسامح الأمير عبد القادر؛ دوره في إنقاذ النصارى في فتنة 1860 بدمشق.
- مؤلفات الأمير.
- ما يستفيده الدعاة من تجربة الأمير في الإصلاح والدعوة.

– تمهيد:

المعروف ، تاريخيا، أن الأمير عبد القادر الجزائري ((1807-1883م)، أنه قائد المقاومة الجزائرية ضد الاستدمار الفرنسي ومؤسس دولة الجزائر، وهذا صحيح لكن الكثير لا يعرفون الجانب العلمي، الدعوي الإصلاحي عند الأمير عبد القادر ، رجل العلم ، المجاهدة والتزكية ، وهذا ما نحاول استكشافه من خلال هذه المحاضرة ، إن شاء الله.

بغض النظر عن جهاده الشجاع للاستدمار الفرنسي الغاشم ، لم تكن حركة الامير عبد القادر الجزائري (1807-1883م) مجرد حركة جهاد عادية ،كثائر عسكري قام لمواجهة حملة استدمارية شرسة حوّلت بلاده فعلا إلى مملك للبؤس– كما ذكرنا سابقا–، بل كانت حركة ذات بعد روحي عميق، لعب فيه التكوين الصّوفي الذي تشبّعت به روح الامير، الدور الأساس في ثورة أذاقت المستدمرين مرّ العلقم ، ولم تترك غزوهم لأرض الجزائر الطاهرة مجرد نزهة كما كانوا يعتقدون....

منطلقا من قوله تعالى:" وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ" (العنكبوت /69).

ولعل هذا هو البُعد (الثقافي والتربوي) الذي نحاول إبرازه في هذا الموضع

– حياة الأمير عبد القادر الجزائري وثقافته:

حرصه على طلب العلم :

عُرف عن الفتى الشاب –كما يقول عنه المفكر الفرنسي (برونو إتيين) (15)،، اهتمامه بجمع المخطوطات ،واقتناء الكتب ،حتى شاع في جبال تلمسان أن (المرابط) الشاب يدفع بسخاء لقاء المخطوطات ، حتى غدا منزله عامرا بالكتب العلمية و المخطوطات النادرة(16) ، وكان شديد الولع بطلب العلم ، حيث درس الفقه والحديث و علوم القرآن ، قرأ (الاتقان في علوم القرآن)، و الالفية في النحو، والعقائد النّسفية في التوحيد ،وقرأ إحياء علوم الدين للغزالي ،و فصوص الحكم و الفتوحات المكية لابن عربي ... وقرأ الفلسفة بدء من ابن باجة ، ابن طفيل ،ابن رشد، ابن سينا ، الماوردي وابن تيمية ، واستهوته الجغرافيا و الفلك ، و التاريخ ، حيث تعرف على ابن خلدون كما يقول(برونو) [17].

---

15)– أستاذ العلوم السياسية بجامعة (اكس أن بروفنس) بفرنسا..

16)– برونو إتيين، عبد القادر الجزائري،ط2،الجزائر:المؤسسة الجزائرية للاتصال والنشر والاشهار،2001،ص133

17)– المرجع السابق ،ص61 ،62

- **المُجاهدة (تزكية النفس) أصل الجهاد:**

كان الامير الشاب يدرك أن أساس النهضة هو العلم واحترام العقل و الإجتهاد الصحيح ، كان يدرك تماما أن الجهاد العسكري – وهو ذروة سنام الاسلام –، أساسه و ركيزته جهاد من نوع آخر أكثر عمقا وخطورة، وهو جهاد النفس و ترويضها ، ومصارعة الأهواء و تزكية الأنفس من الأدران و مقاومة الشهوات ، وهو ما يعرف بالمجاهدة قال تعالى: ((والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)) (العنكبوت/69).

ولم تكن عزلته التي تحدثنا عنها ، تهربا من المسؤولية أو ابتعادا عن الخلق ، أو رغبة في النجاة ، وطلبا للسلامة ، بل كانت محطّة للتزود بالوقود لانطلاقة أكثر قوة قال تعالى: ((وتزوّدوا فانّ خير الزاد التقوى)) (البقرة /197)، وهو ما يقتضي نوع بُعدٍ(ابتعاد) لصدّ القلب عن الانشغال بهموم الدنيا و مطالبها، وهو بُعدٌ تبتعد عن تناوله كثير من الدراسات التي تتناول الجهاد العسكري من خلال وصف عدد الغزوات و الحروب ، بالانشغال بعدد القتلى و الجرحى،و الاشادة بصورة البطل الثائر و شجاعته ، دون إدراك حقيقي لخلفيتها الروحية، ولعل ذلك مرتبط بتلك الصورة النمطية السلبية التي تحكم موقف الكثيرين تجاه التصوف وما يثيره من لغط حول قيم السلبية و التواكل و الخضوع و الخنوع و الانقطاع عن الدنيا.والاستسلام للأعداء بدافع القدرية العمياء..

كان الامير رجلا عارفا زاهدا ،عرف هذه الحقيقة، فكان في مجاهداته يدرك أن أمر الجهاد يحتاج إلى مجاهدة،، فكان يتأمل فرسه (الحيوان)بعد أن روض فرسه الأولى(نفسه) بأنواع المجاهدات (وربما كانت أكثر جموحا) فيخاطبها بقوله :"أيتها الحرة ، أيتها الأصيلة ، يا ابنتي ، استحلفك لتصغي إلي، ربيتك من سلالة الى سلالة ، و سقيتك آخر الليالي حليب النوق،وشملتك أمي بعنايتها و توجهت إليك جميع العيون، فبيّني لأبناء الخطيئة هؤلاء [يقصد الفرنسيين]ما تتمكنين من فعله، أنقذي نفسك وأنقذي معلمك..."...

قد صدق الامير وعده إذ أنه تولى زمام الجهاد فخاض معارك باسلة ضد الكافرين كبدهم خسائر فادحة، منها معركة(خنق النطاح) والتي أبلى فيها بلاء حسنا، حيث قتلت فرسه و تخرقت ملابسه بالرصاص، واضطر العدو إلى عقد هدنة بما عرف بمعاهدة (دي ميشيل) عام 1834م..

- **تصوف الأمير عبد القادر** : تلقت روح الامير الشاب أثناء رحلته إلى الحج مع والده عام 1825م دفعة روحية عظيمة ،،وبعد عودته إلى الجزائر عام 1828م ،وجد الوضع مختلفا،فآثر نوع عزلة غزالية (نسبة إلى حجة الإسلام الغزالي) للتأمل و الدراسة....

وتأثر كثيرا بكتب الشيخ محي الدين بن عربي الحاتمي ، رغم أنه تحفّظ على من يقرؤها دون تضلع في مجاهدة نفسه والاشتغال بتربيتها ، لصعوبة عباراتها وتعقد إشاراتها [18] ،رغم أنه يعترف بفضله ويسميه (إمام العارفين) ....[19].

التربية الروحية عند الأمير عبد القادر

المرحلة الأولى: حين سافر للحج مع والده ونزل دمشق، 1825،م، حيث التقى بالشيخ خالد النقشبندي، والشيخ محمود الكيلاني (أو الجيلاني) القادري، ولما رجع إلى الجزائر أنشأ مراكز للتربية على الطريقة القادرية ، وكان تلامذة هذه المراكز ، كما يقول الشيخ عاصم إبراهيم الكيالي، هم الذين غذّوا حركته الجهادية فيما بعد...

المرحلة الثانية: مرحلة عزلته في (أمبواز) كسجين،والمعروف أن السجن،يتحوّل الى خلوة للتأمّل والعبادة، ونحن نتذكر ما قاله (ابن تيمية) عن كيد أعدائه:".. ما عسى أن يفعل أعدائي بي؟ :إن نفوني فنفيي سياحة، وإن سجنوني فسجني خلوة،وإن قتلوني فقتلي شهادة .؟!!...".

المرحلة الثالثة: مرحلة المجاورة بمكة – حرسها الله – عام 1279هـ، والتقاؤه بالشيخ (محمد الفاسي)– رحمه الله– والذي أخذ عنه الطريقة الشاذلية(20)، وهو ما يذكره في رائيته الطويلة التي تبلغ حوالي مائة وإحدى عشر بيتا،ومطلعها:

أغث يا مغيث المستغيثين والها *** ألمّ به من بعد أحبابه الضرُّ

أمسعودٌ ،،جاء السعد والخير واليسرُ ووَلّت جيوش والنحس ليس له ذكرُ

ليالي : ليالي صدود،وانقطاع وجفوة وهجران سادات، ولا ذكر الهجرُ

فأيامها أضحت قتاما ودجنةُ لياليها ،لا نجم يضيء و لا بدرُ

فراشي فيها نحشوه الهمّ والضنى فلا التذّ لي جنبٌ ولا التذّ لي ظهرُ

أسائل كل الخلق ،هل من مخبر يُحدّثني عنكم؟، فيُنعشني الخُبرُ

الى أن دعتني همّة الشيخ،من مدى بعيدٍ،..ألا فادن،عندي لك الذخرُ

---

18)– أنظر:أحمد كمال الجزار، المفاخر في معارف الأمير عبد القادر، ط1، القاهرة: مطبعة العمرانية، 1997م،ص16

19)– المرجع السابق، ص 102 ،103، 104.

20)– الامير عبد القادر، بُغية الطالب على ترتيب التجلي بكليات المراتب،ط1، تقديم وتعليق عاصم ابراهيم الكيالي الشاذلي بيروت:دار الكتب العلمية، 1425هـ/ 2004م، ص20.

فشمّرت عن ذيلي الازار وطار بي جناح اشتياق،ليس يُخشى له كسرُ

.....

إلى أن يقول:

أعني به شيخ الانام،وشيخ من له عمّة ،ذي عذبة،وله الصدرُ

عياذي، ملاذي،عمدتي ثمّ عدّتي وكهفي، إذا أبدى نواجذه الدّهرُ

غياثي من أيدي العداة،ومنقذي منيري،مجيري،عندما غمّني العمرُ

ومحيي رفاتي ،بعد أن كنت رِمّة(21) وأكسبني عمرا ،لعمري هو العمرُ

محمّد الفاسي، له من محمّد صفي الاله، والحال والشيم الغرّ

بفرض وتعصيب ،غدا إرثه له هو البدر، بين الاولياء،وهم الزّهرُ.....

.....إلى آخر القصيدة.

وعموما يمكن القول أن تبحُّر الأمير في طريق التصوُّف وتربية المريدين(تلاميذه في سلوك طريق التربية) كان بدمشق إلى وفاته (رحمه الله) علما أنه التزم الأصول الكتاب والسنة مع تحذيره من كثير من ممارسات التصوف البدعي المنافية لأصول الكتاب والسنة .....(22).

– مكانة العقل عند الأمير و دعوته لنبذ التقليد:من خلال كتابه: ذكرى العاقل وتنبيه الغافل.

هل معنى اتجاه الأمير نحو منهج التربية الصوفية وتأثره الكبير بهم الغاؤه مكانة العقل في منهجه المعرفي...؟؟.....

الحقيقة أن منهج الأمير يؤكد احترامه للعقل ،كمصدر معرفي أساسي ،حيث يضعه في الاطار الذي وضعه فيه الشرع،،،فيبقى مجاله المحسوسات والتجريب ،مع نبذ كافة أشكال التقليد ،،،ونظرا لأهميته ألّف الامير كتابه (ذكرى العاقل وتنبيه الغافل) أوائل الخمسينيات من القرن 19م في (بروسة) بالدولة العثمانية التي أقام بها عام 1270هـ،....تناول في هذا الكتاب قضايا العلم والفلسفة و الدين ،ففي الباب الأول منه تناول فضل العلم و العلماء، تعريف العقل وفضل المدركات العقلية على المدركات الحسية ثم بين العلوم المحمودة و العلوم المذمومة ، أما الباب الثاني فخصصه لبيان فضل

---

21)- أي جثّة هامدة .

22)- راجع كتاب ، المفاخر في معارف الأمير عبد القادر، م، س، ص 119 ،120.

العلم الشرعي ، تضمن مبحثا في إثبات النبوة و معرفة النبي ... أما الباب الثالث فخصصه للحديث عن الكتابة و الحروف العربية وحاجة الناس للتصنيف ... وقد ترجمه مستشرق فرنسي هو(غوستاف دوقا)عام 1858م.

ثم جاء ابنه (محمد) ونهج منهج أبيه في (ذكرى العاقل) من خلال تأليف كتابه (ذكرى ذوي الفضل في مطابقة أركان الاسلام للعقل)،الذي طبع في مصر ، عام 1337هـ(23.).

وفي كتابه (ذكرى العاقل) ينوه الأمير بأسلوب قوي حصيف بأهمية الإجتهاد و ينبذ التقليد بإعتباره الطريق للنهضة و التقدم، فنراه يقول:

"و المتبعون على قسمين : قسم عالم مُسعد لنفسه مسعد لغيره ،وهو الذي عرف الحق بالدليل لا بالتقليد ودعا الناس إلى معرفة الحق بالدليل لا بأن يقلدوه ، وقسم مهلك لنفسه مهلك لغيره ، وهو الذي قلد آباءه وأجداده فيما يعتقدون و يستحسنون ، وترك النظر بعقله ودعا الناس لتقليده ، الأعمى لا يصلح أن يقود العميان ، واذا كان تقليد الرجال مذموما غير مرضي في الاعتقادات ، فتقليد الكتب الأولى وأحرى بالذم ، وإن بهيمة تنقاد أفضل من مقلد ينقاد..."24

وهذه الكلام ينمّ عن روح الاصلاح التي تشبع بها صاحبه ..فلا جرم أن يعتبره (جرجي زيدان)في كتابه (بناة النهضة العربية)من أهم القادة والسياسة الذين أرسوا دعائم النهضة (25).

- خصائص الإصلاح والدعوة عند الأمير:

- نشاطه في الجمعيات الخيرية:

لم يكن تصوّف الامير بالامر الذي ينأى به عن حركة الاصلاح الاجتماعي أينما حلّ وارتحل؛ لأن المؤمن كالغيث أينما وقع نفع....فكيف إذا كان في مرتبة الامير ؟!...

---

23)- نفسه ،ص167.

24)- كتاب الامير ، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل | ،

25)- انظر: عمار الطالبي،ابن باديس،حياته وآثاره،ج1،ط2، ،بيروت:دار الغرب الاسلامي،1983م،ص16، 17.

لم تفتر عزيمة الامير عن العمل الاصلاحي الاجتماعي ،فسرعان ما انظمّ الى جمعية(العروة الوثقى) لمقاومة الاستعمار العالمي،كما يقول الاستاذ (رشيد رضا)، و انظمّ الى الجمعية الماسونية (كما حدث لجمال الدين الافغاني) ،كجمعية خيرية لخدمة الانسانية، إذ لم تكن حقيقتها قد ظهرت بعدُ.

حقيقٌ بنا أن لا نقع فيما وقع فيه بعض المتسرعين، في القاء الكلام على عواهنه واتهام الامير بالماسونية ، لأن الانصاف يقتضي الحكم عليه باستحضار ظروف الزمان والمكان، وأمر الماسونية جديد ، وأهدافها المعلنة فيها الخير العميم على الانسانية،ولو كنا في زمانه لربما حذونا حذوه، ومن الظلم البيّن أن نحاكمه وفق ظروفنا وما توافر لنا من معطى ومعلوم.....

- قيمة التسامح عند الأمير ،دوره في إخماد فتنة عام 1860م ببلاد الشام.

قام الامير بدور عظيم في إخماد نار الفتنة التي نشبت بين المسلمين والمسيحيين،في دمشق عام 1860م،،ولما بدأت بوادرها تظهر للعيان لم يقف مكتوف اليدين بل جمع أعيان البلد وخاطبهم بأسلوب حكيم ،يذكرنا بأسلوب أستاذنا الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله– قائلا::" إن الاديان ، وفي مقدمتها الدين الاسلامي أجلّ وأقدس من أن تكون خنجر جهاله، أو معول طيش،أو صرخات نذالة تدوي بها افواه الحثالة من القوم، أحذّركم أن تجعلوا لشيطان الجهل فيكم نصيبا أو يكون له الى نفوسكم سبيلا....". وشاءت الاقدار أن يحدث المحذور ،فوقعت الفتنة ،فسارع الامير الى إنقاذ الكثير من المسيحيين ،عدّهم البعض بحوالي خمسة عشر ألفا،منهم راهبات ورهبان،كما ساعد الكثير منهم على السفر الى بيروت، وقد دفع ثمن ذلك غاليا ؛ حيث قُتل عدد من أصحابه ومرافقيه من المغاربة،وولغت في عرضه بعض الالسنة تتّهمه بموالاة النصارى والدفاع عنهم ونصرتهم ضد المسلمين!!...

ولا عجب أن يقف الامير موقفا شهما أملته عليه عقيدته وأخلاقه،كما يقول،،وهو موقف الداعية المخلص المخلّص، والدعوة في حقيقتها دعوة للسلام ونفي التعصب المقيت ومحاربة الظلم حتى لو كان المظلوم كافرا،قال تعالى" ولو كنت فضًا غليظ القلب لانفضّوا من حولك ،فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر" (آل عمران/159). وقال: (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ،ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتّقوى)(المائدة/8)

كما عُرف عن الامير **شدّة برّه بوالديه**،امتنع عن الحج ،رغم شدة اشتياقه اليه،رغبة في قيامه بواجب رعاية أمه المريضة،السيدة الفاضلة(الزّهرة بنت محمد بن دوحة الحسيني) ....إلى أن توفيت– رحمها الله– عام 1278هـ عن ثمانين سنة.....غادر الامير حاجا في العام الموالي لوفاة أمه ،وبقي عاما كاملا مجاورا لا يغادر حجرته إلا إلى الحرم، لا ينام إلا أربع ساعات، ولا يأكل إلا مرة واحدة،مجاهدةً لنفسه وترويضًا لها لتعطيه قيادها ،وهنا أخذ عن (الشيخ الفاسي) أصول الترقّي في مدارج السالكين....

وافى الامير الأجلُ بدمشق ليلة 19 رجب 1300هـ/24 ماي 1883م، عن عمر ستة وثمانين عاما ،ودُفن الى جوار أستاذه الشيخ (محي الدين بن عربي)- رحمه الله- بالصالحية(دمشق).. .قبل أن تُنقل رفاته إلى الجزائر.

- آثاره :

من أشهر مؤلفات الأمير:

. 1-إجابات الامير ،وهي أسئلة في عبارات صوفية، كشرح قول الغزالي :"ليس في الامكان أبدع مما كان..."

2-. رسائل في الحقائق الغيبية في شرح بيتين:

رأت قمر السماء فأذكرتني ليالي وصلها بالرقمتين

كلانا ناظر قمرا ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني

3-. رسالة في شرح سورة التكوير (شرحا إ شاريا صوفيا)

.4- تعليقات على حاشية جده عبد القادر (في علم الكلام) .

. 5-الصافنات الجياد (في محاسن الخيل و صفاتها)

. 6-**ذكرى العاقل و تنبيه الغافل** (الذي ذكرناه)

.7- المقراض الحاد لقطع لسان أهل الباطل و الإلحاد

. 8- ديوان شعر ، في أغراض مختلفة..(26)

9- . **المواقف الروحية و الفيوضات السبوحية**، وهو أشهر كتبه، كان يلقي مواقفه في مجالس خاصة(وهي واردات و خواطر)، ثم إقترح عليه الشيخ (عبد الرزاق البيطار) أن يدونها، فكان هذا الكتاب بما يشبه مجالس العارف بالله ، الشيخ عبد القادر الجيلاني والتي جُمعت في (الفتح الرباني و الفيض الرحماني) ، و كتاب المواقف ملخّص في كتاب (بغية الطالب على ترتيب التجلي بكليات المراتب) قدّمه و علق عليه الدكتور الشيخ عاصم ابراهيم الكيالي الحسيني، الشاذلي الدرقاوي..(27)

ولعلّ كل من طالع هذاكتاب (البُغية)،يلاحظ عمق تصوّف الامير ،عمق أستاذه (ابن عربي)؛ عبارات إشارية غامضة ، لا يفهمها من تضلّع في التصوف وعمق مصطلحاته ،حتى أن أحدنا قد يتوهّم فيها دعوى إتحاد أوحلول أو تشبيه أو

---

26)- أنظر ديوان الأمير المطبوع، باسم : ديوان الشاعر الأمير عبد القادر، تحقيق العربي دحو، الجزائر: منشورات تالة، 2007م.

27)- الامير عبد القادر،بُغية الطالب على ترتيب التجلي بكليات المراتب،ط1، بيروت:دار الكتب العلمية، 1425هـ/ 2004م ، ص21.

تجسيم،..... ،ولذا عمد _ رحمه الله_ الى التحذير من أي فهم ظاهري أو تأويل سطحي على ما يوقع صاحبه في المحظور فيردى،،،ولذا نراه يبين موقع الادراك العقلي للحقائق الكونية وأسبقية علوم الوهب على علوم الكسب، فيقول:

" إياك ،إياك ، أن تتوهم وتتخيّل فيما أذكره في هذا الموقف تشبيها عقليا أو تمثيلا أو حلولا أو اتحادا ، أو سريانا أو امتزاجا أو ارتساما أو انفصالا أومقابلة،أو مقارنة،أو تقديما أو تأخيرا أو قبلية ،أو بعدية، أو كيفا أو كما أو معيّة، أو أينا أو متى أو ترتيبا.....فمن توهّم شيئا من ذلك سقط من مهواة من السقف على أمّ رأسه....".(28)

وبذلك يحرص الامير على إثبات التنزيه المطلق للذات العلية (خلاف ما يدّعيه بعض المتنطّعين) فنراه يتحدّث عن الانسان الكامل باعتباره صورة الكون الجامع للحقائق الالهية والكونية، وأنه تعالى أثبت له مثلا في الانسان الكامل ،الذي خُلق على صورته؛ أي أنه يلتحق بالله في صورته المعنوية..(29) ؛لأن العالم كلّه تفصيل لما اجتمع عليه الانسان الكامل، إذ أن الانسان هو العالم الكبير ،وغيره (من الأغيار) هي الانسان الصغير،،، وهو ما يشير اليه قول الناظم:

وتحسبُ أنك جرمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العالم الاكبرُ

- **أهم ما يستفيده الدعاة في هذا العصر من تجربة الأمير في الدعوة والإصلاح :**

اليوم نحن، في الجزائر ، في أمسّ الحاجة –ونحن نعيش في عصر التحديات الكبرى–،، الى استحضار منهج الامير الامام الداعية والمجاهد الرباني ، لتوجيه مسار الدعوة في دروب المجاهدة والجهاد، في عملية تغيير واعية،تأخذ بعين الاعتبار تغيرات الزمان وظروف المعادلة الاجتماعية للمجتمع الجزائري التي بلا شك قد شابتها كثير من الملابسات الجديدة ،سلبا وإيجابا.

–طلب العلم الشرعي ليحصّن نفسه من الوقوع في التعسّف في الاحكام ،وأن تكون له ثقافة واسعة ليحسن التعامل مع العوارض .

– الاهتمام بمجاهدة النفس وإصلاح القلب ؛لأنه أساس أي حركة ناجحة ،فإصلاح الباطن أساس إصلاح الظاهر،،وقد قيل أن من لم تكن بدايته محرقة لم تكن نهايته مشرقة..وفي تربيتنا الروحية مستخلص في تزكية أنتفسنا من باطن الإثم وتطهير لقلبونا حتى تثمر دعوتنا ،،،،،فالدعوة كالأرض إذا غرسنا فيه أنواع الشجر وسقيت بصافي المطر أثمرت بديع الثمر..

---

28)– نفس المرجع،ص 27، 28.

29)–نفسه،ص28.

– أن لا ينكفيء الداعية على نفسه ويعتزل الناس بحجة الاصلاح الذاتي ،بل عليه أن يخالط الناس ويصبر على أذاهم (وقد حصن نفسه من الشبهات والزلات)،وعليه أن يمارس الدعوة والاصلاح في كل مكان،وأن يساعد الآخرين حتى من غير المسلمين كما فعل الامير في فتنة بلاد الشام عام 1860م.....

- التصوف الحقيقي: بعيد عن السلبية والتكاسل بحجة الاستسلام للقدر ،بل هو تزكية نفس ومجاهد طبع،ومغالبة شهوات، وهو معنى قوله تعالى:" قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسّاها"(سورة الشمس)،، وقال تعالى أيضا: " والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا.." ( ) وقد كان الصحابة الكرام مضرب المثل في ذلك كما اتضح من خلال سيرتهم وهم الذين رباهم الرسول على عينه،ومثّلوا خير القرون،،،أما ما يقع فيه بعض أتباع الطرقية ، من دروشة، فهو بعيد كل البعد عن هذا المعنى السني الذي سار عليه الامير عبد القادر– رحمه الله تعالى رحمة واسعة–..

المحاضرة الرابعة:

الشيخ القادر المجاوي (رحمه الله)

(1848 /1913م)

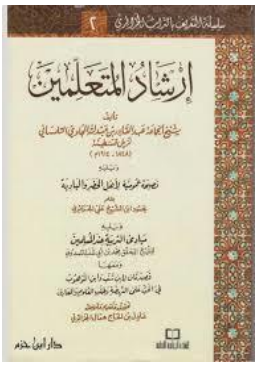

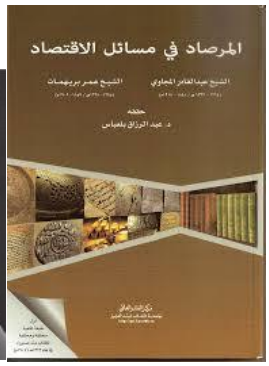

- تمهيد:

كادت شخصية الشعب الجزائري العربية الإسلامية أن تُمسخ تماماً لولا أن قيّض الله رجالاً يتمّون نوره الذي أراد هؤلاء إطفاءه بأفواههم مصداق قوله تعالى: ﴿ يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون ﴾ -التوبة/32- ..وهؤلاء هم امتداد لجهود مدرسة الإصلاح في المشرق الإسلامي، الذين ركّزوا على التربية والتعليم وخدمة الإسلام والعربية والوطن ممن حملوا شعار الاصلاحية الاسلامية:" إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"(الرعد/11)، ومن أشهرهم الشيخ (صالح بن مهنا)، الشيخ (عبد الحليم بن سماية) والشيخ(عبد القادر المجاوي)، المولود بن الموهوب(أستاذ مالك بن نبي)،حمدان لونيسي، (أستاذ ابن باديس)، وغيرهم.

- العلامة الشيخ عبد القادر المجاوي وجهوده في الدعوة والإصلاح:

- ميلاده ومساره العلمي :

ولد عبد القادر بن محمد عبد الكريم المجاوي في تلمسان سنة (1848م/1266هـ) تقلد أبوه ، الذي كان رجلا عالما فاضلا منصب القضاء بمدينة طنجة بالمغرب لمدة خمسة وعشرين عاما، فنشأ ابنه نشأة علمية .....بعد دراسته في مسقط رأسه انتقل عبد القادر ، لمتابعتها ،في كل من فاس وطنجة وجامع القرويين على الخصوص بالمغرب الأقصى،حيث درس على يد ثلة من علمائها منهم :الشيخ صالح الشاوي، الشيخ أحمد بن سودة، الشيخ جعفر الكتاني...الخ.

عاد إلى الجزائر حوالي سنة(1874م /1292هجري)،،، أدى فريضة الحج ليتولى التدريس أولا في قسنطينة حيث أقام وتزوج فيها وأنجب.درّس في كل من جامع الكتاني ابتداء من السنة نفسها، و المدرسة الحكومية سنة 1295هـ، بالإضافة إلى نشاطه في الدعوة لنشر الوعي الديني خارج عمله الرسمي كمدرس ومحاضر في المدارس الحرة و المساجد، كمسجد سيدي الأخضر، فأحدث تأثيرا كبيرا في الأواسط الفكرية و الشعبية بدروسه ومحاضراته العامة، أما دروسه الرسمية فقد تنوعت بين المنطق والبيان والمعاني واللغة و النحو والفلك، وفي السنة(1315 هجري/؟ ميلادي) انتقل المجاوي إلى العاصمة للتدريس في مدرستها العليا (الثعالبية) كما عين إماما خطيباً بجامع سيدي رمضان بالجزائر العاصمة سنة

1326هجرية (1908م) و بقي في قمة نشاطه: إماما قديرا وأستاذا متمكنا و مؤلفا نشطا ورجل إصلاح في جميع الحالات بمستوى الوضع والظروف، تخرج على يديه كثير من العلماء منهم : حمدان الونيسي و أحمد الحبيباتي والمولود بن الموهوب وهم من الذين كان لهم تأثير كبير في الحياة الاجتماعية و الفكرية.

اهتمامه باللغة العربية:

اتّسم المجاوي بالموسوعية العلمية، و قد وصفه الأستاذ الموسوعة اللغوية محمد ابن أبي شنب ب "بصاحب المعارف الواسعة":وقد كان: "ريانا من العربية، فقيها متضلعا، مشاركاً في الكثير من العلوم، منها علم الكلام، علم الاقتصاد السياسي، والعلم التربوي، وعلم الهيئة، عكف عن التدريس، فتخرج عليه من التلامذة من أصبحوا بدورهم أساتذة."....

أسهم إسهاما جيدا في حدود إمكانياته من أجل نهضة ثقافية، كما شارك في إحياء اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وبذل جهداً جهيدا في سبيل ارتقاء مستوى الجزائر حسب اتجاهات جيله الشريفة. وكانت معظم كتاباته موجهة ضد الآفات الاجتماعية والخرافات والعادات القديمة.

اهتمامه بالتربية والتعليم:

إهتم المجاوي بالتربية والتعليم منذ 1877م فألف رسالته:"إرشاد المتعلمين"(وهو كتاب مطبوع)،،، دعا فيه الى اليقظة وتعلم العلوم بكافة أنواعها واتقان اللغات الاجنبية ،و أكد كثيرا على عدم التناقض بين العقل والنقل،(30) ثم كتب :"اللُّمع في نظم البدع"الذي طبع عام 1902م،يشرح فيه قصيدة ألفها تلميذه ابن الموهوب، تسمى (المنصفة)،(31) ،،

اهتمامه بالمرأة ،تربية وتعليما:

30- أبو القاسم سعد الله، ،تاريخ الجزائر الثقافي، ج7،ط1،بيروت: دار الغرب الاسلامي،1998م،ص196

- 31- نفسه، ص173

وكان اهتمامه بتعليم المرأة اهتماما بالغا ادراكا لدورها الخطير في تنمية المجتمع وأكد على دراسة علم الاخلاق وعلم النفس، كما تعرض لنقد طرق التعليم في عصره ، كما نقد طريقة **الائمة في القاء** موضوعات تقليدية في خطب الجمعة ودعا الى اصلاحها...32 .... غرس المجاوي بذورا صالحة قبل موته بقسنطينة عام 1332هـ/1913م،

تلامذته:

أثمرت رجالا حملوا راية الإصلاح منهم: الشيخ (حمدان لونيسي)أستاذ الإمام الأكبر عبد الحميد بن باديس والشيخ (المولود بن الموهوب) مفتي قسنطينة.وأستاذ مالك بن نبي والشيخ اطفيش شيخ الاصلاح والدعوة بمنطقة ميزاب....

- مؤلفاته:

- ((إرشاد المتعلمين))(مطبوع)
- كتاب المرصاد في مسائل الاقتصاد.
- شرح منظومة العارف بالله سيدي محمد الامام المنزلي في التصوف .مطبوعة بالمطبعة التونسية عام 1314هـ..
- اللُّمع في نظم البدع.
- ((نصيحة المريدين)): رسالة توجيهية نشرت في تونس.
- ((شرح ابن هشام)): كتاب في اللغة والنحو والبلاغة، طبع بقسنطينة.
- ((تحفة الأخيار فيما يتعلق بالكسب والاختيار)) في العقيدة.
- ((منظومة في علم الفلك)) مخطوطة..
- القواعد الكلامية، رسالة في علم الكلام.(33).والعديد من الكتب والمخطوطات الأخرى.

---

32)- ، ابن باديس حياته وآثاره، جمع ودراسة عمار الطالبي ، مرجع سابق، ص21.

33)- نفس المرجع، ص20 ،21 ،22

وفاته:

توفي الأستاذ "عبد القادر المجاوي" (رحمه الله) بقسنطينة 1913م، وبها دفن تاركا وراءه أثرا طيبا في بعض شباب تلك الفترة وشيوخها، كما ترك مؤلفات اختلفت نوعا و كيفا، ولكنها جميعها جاءت من وحي ما علم للطلاب، و ما تدارس مع تلامذته و زملائه، تجاوزت هذه المؤلفات خمسة عشر عملا: في اللغة و النحو، والبلاغة و الدين، وعلم الفلك. (34)،.

- منهجه الاصلاحي:

كان منهجه في الإصلاح التركيز على إلى إصلاح التربية والتعليم باعتباره أصل كل تغيير اجتماعي حقيقي وله في ذلك كتاب "إرشاد المتعلمين"،و مثل الاستاذ ابن مهنا، يدعو على تعليم المرأة لأنها أصل في تربية النّشء وإخراج أجيال التغيير والإصلاح، كما كان ينتقد الطرق التقليدية في التعليم مؤكدا على دور العقل ومكانته وأنه لا يعارض الوحي.... وكان حربًا على الفكر الخرافي والدجل والبدع التي تبثها الطرقية في الجزائر، يدعوا إلى نبذ العادات والتقاليد المنسوبة إلى الإسلام، كما يدعو إلى إصلاح خطبة الجمعة (35).

نظرا لمكانته وشخصيته القوية وازدواجية ثقافته العربية والفرنسية فقد كان موضوع احترام وتقدير من قبل الجميع حتى من جماعة النخبة الذين كانوا عادة ما يسخرون من العلماء المحافظين لعقدة الاستعلاء التي كانت تحكمهم.

وبالإضافة إلى علمه الغزير كان يتمتع بأخلاق عالية وعلى رأس هذه الأخلاق التواضع التي هي أهم خصلة التي يجب أن يتصف بها العالم الحقيقي، وهي الخصلة التي تفتح لها القلوب وتكسب لصاحبها القبول عند الناس، فالشيخ المجاوي كان متواضعا مع غيره مهما كانت منزلته العلمية أو الاجتماعية، وكان من شدة تواضعه قربه الشديد من تلامذته فهو يهتم "بشؤونهم، ويذل الوسع في قضاء مآربهم، ويصده علو الهمة عن مجاراتهم فيما يزري بخطته بالشريفة...ولعل هذا الخلق الذي لا ينبل الرجل إلا به، هو الذي غرس له في قلوب الجمهور مودة واحتراما"، فمهمّته لا تتوقف إذن على

---

34)- عمار الطالبي،م،س،،ص 24

(35)- عمار الطالبي،ابن باديس، حياته وآثاره،ط2،بيروت: دار الغرب الاسلامي،1403هـ/1983م،ج1، ،ص 20...23.

التعليم في المدرسة أو المسجد بل كان هذا الأستاذ "يتابع تلاميذه بجدية، ويشجعهم دائما ويتتبع سيرتهم داخل وخارج المدرسة وينبههم دائما على الأوضاع والمشاكل المعاشة، إذ كانت يقظته متواصلة وتصب في الصالح العام"...(.36)

في حوار هام مع الدكتورة سمية أولمان حفيدة الشيخ عبدالقادر المجاوي(37)

س1- ما سرّ تلك الميداليات والنياشين التي تظهر معلقة على صدره في صورة مشهورة؟

الجواب: سؤال وجيه، فكلّ مَن يرى تلك الصورة يعتقد خطأً أنّه كان متعاوناً مع الاستعمار، وقد حدث لنا ذلك حتّى في صفوف العائلة. وبعد بحث وتدقيق علِمنا، بفضل الوثائق والمحاضر، أنّه تحصَّل على وسام الافتخار التونسي من طرف الإدارة التركية عبر باي تونس، والوسام الذهبي للمعارف ووسام الشرف الفرنسي كاعتراف له بقيمة أدائه لوظيفة التربية والتعليم، والوثيقة التي تثبت هذا الكلام موجودة وعرضناها بالمعرض في مدخل القاعة. وأصرّت الإدارة الفرنسية على وصفه بالمواطن الفرنسي فرفض ذلك، لتعوّض هويته بوصفه "أنديجان" مسلما فقبلها وقال إلاّ فرنسياً فلا...

س2-ما هي أهم المؤلّفات والمخطوطات التي خلّفها الشيخ عبدالقادر المجاوي؟

ج - توجد على مستوى وزارة الشؤون الدينية والأوقاف مخطوطات كتبها بخط يده مثل المختصر في المنطق والمختصر في النحو، ثمّ مخطوط فريد لمصحف صغير للقرآن الكريم كتبه أيضاً بخط يده وهو موجود لدى العائلة، وكتب طُبِعت بالجزائر ومصر وتونس، ولعلّ أهمّها كتاب "إرشاد المتعلّمين" الذي صدر في سنة 1877م بالقاهرة وتمّ إعادة طبعه بلبنان، وهو المؤلّف الذي عرضه للتّعنيف من قبل أذناب الاستعمار بقسنطينة بسبب توجيهه لذلك النِّداء باللغة العربية ، وحثّ فيه على تعلّم شتى العلوم وباللغة العربية. وله كتاب آخر لا يقل أهمية عنوانه "المرصاد في مسائل الاقتصاد"، وهو أوّل كتاب

---

36) – موقع التحرير أون لاين، تلمسان تسترجع الذكرى المائة لوفاة الشيخ عبد القادر المجاوي التلمساني

،،،أطلع عليه بتاريخ 2016/8/4م http://www.altahrironline.com/ara/?p=4389عن:

الساعة 20و30

37) -موقع مركز الأصالة للدراسات: الرابط:

http://www.assala-dz.net/ar/index.php?option=com_content&view=article&id=1333:2011-11-04-07-05-34&catid=11:2010-08-15-10-18-09&Itemid=7

تم الاطلاع عليه يوم 2014/5/12م

في الاقتصاد الإسلامي، جمع بين النّظريات الحديثة ومبادئ الشّريعة الإسلامية.

س3- ما صحّة اغتياله مسموماً من طرف أعوان الاستعمار؟

ج-إنّ الأشهر التي سبقت وفاته في سنة 1914م، عرف فيها حملة أشدّ عنفاً في شوارع قسنطينة وفي صحفها، بعد نشره كتاب "اللُّمَع في نظم البدع" والذي شرح فيه القصيدة (المنصفة) لتلميذه وصديقه المولود بن موهوب، وكانت حملة جديدة وصفته بالدجّال والمجنون، وتوفي مباشرة في تلك الظروف، ما يرجّح أنّ وفاته لم تكن طبيعية.

معروف أنّ رائد النّهضة الجزائرية الشيخ عبدالحميد بن باديس كان من تلاميذه، فهل من وثائق ووقائع تثبت هذه العلاقة؟

أظنّ أنّ تأبينية العلامة ابن باديس لشيخه عبد القادر المجاوي خير دليل حين قال:" أنت الّذي عانيتَ أتعاباً كبيرة لإصلاحنا، أنتَ الّذي تعامد حِلمك وعِلمك ليصعد بنا في معارج الكمال.. نُبكيك ويُبكيك القرطاس والقلم.. وتُبكيك منابر العِلم والحكم".. إلى آخر التّأبينية الّتي قرأها ابن باديس في جنازته...رحم الله علماءنا .....

المحاضرة الخامسة:

ثالثا) الأستاذ الداعية المصلح ،الشيخ عبد الحليم بن سماية

(رحمه الله) – 1866/ 1933م–

هو عبدالحليم بن علي بن عبد الرحمن خوجة بن سماية.، ولد بالجزائر عام 1242 هـ/1866 م ،هاجر مع جده لامه إلى مصر على عهد (محمد علي) درس هناك ثم عاد إلى الجزائر مدرساً في الجامع الجديد بالعاصمة .

أقام مدة في تونس، كما زار بلاد الشام.

حفظ القرآن الكريم، وتعلم على يد والده العربية والفقه والتوحيد، كما أخذ المنطق والبلاغة عن طاهر تيطوس، والحساب والفرائض عن علي بن حمودة. وتتلمذ على نخبة من كبار العلماء.

حفظ المتون وقرأ أمهات كتب التراث حتى تكوّنت له ملكة قوية في العلوم العربية والشرعية، ودرس اللغة الفرنسية.

عمل صحفيًا في جريدة «المبشر»، ثم بالتجارة في دكان صغير؛ في حين كان يلقي الدروس متطوعًا في المسجد الذي كان يدرّس فيه والده. قلدته الإدارة الفرنسية (1896) خطة التدريس بالمدرسة الرسمية بالجزائر العاصمة، وفي (1900) أسندت إليه خطة التدريس بالجامع الجديد الحنفي، وعندما افتتحت المدرسة الثعالبية (1905) انتقل إليها وظل مدرسًا بها إلى أن أحيل إلى التقاعد.

التقى الإمام محمد عبده زمن وجوده بالجزائر، وسفرت الرسائل بينهما حين غادر الإمام إلى صقلية، وظل المترجم له وفيًا لمنهج الإمام في الإصلاح.

كان من مناضلي الجامعة الإسلامية (الوحدة تحت راية الخلافة الإسلامية)، كما كان من معارضي تجنيد الجزائريين في

الجيش الفرنسي.

ثقافته:

درس على يد والده أولا الفقه والتوحيد، كان عصاميا حيث اعتمد على نفسه في حفظ المتون، من أجلة أساتذته المكي بن عزوز، أبو القاسم الحفناوي، السعيد بن زكري.....لما اشتد عود تمكنه العلمي تولى التدريس في مدرسة بباب الواد عام 1896م مع الشيخ المجاوي.

درّس الطلبة رسالة التوحيد لمحمد عبده حرصا منه على ترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس الطلاب، كما حرص على تدريس البلاغة وأسرار اللغة، وهو أول من درس " أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز للجرجاني "... قام بدور كبير في تعليم ونشر الوعي الديني بين جيل من الطلاب بالمدرسة الثعالبية . ، وكان عالما متفتحا على علوم عصره درس الموسيقي وتعلم العزف على العود،مما يدل على تفتحه، كما درس ألفية ابن مالك بشرح بن عقيل، ودرس العقد الفريد ونهج البلاغة وديوان الحماسة، كما درس المنطق، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي...وهذا يدل على سعة علمه.'(38)..

كما درّس لطلبة السنة الرابعة بالثعالبية ألفية إبن مالك بشرح ابن عقيل،العقد الفريد،نهج البلاغة، كما درس: "الاقتصاد في الاعتقاد "للغزالي،وقد كان الطلبة يجمعون له شبه أساتذة الفلسفة فيرد عليها وألف فيها " رسالة في التوحيد والرد على شبهات المبطلين والملحدين.".

ألّف بعض الكتب منها: كتاب: "فلسفة الإسلام" ، قرأ جزء منه في مؤتمر المستشرقين الدولي الرابع عشر المنعقد في الجزائر عام 1905م ...كما كتب مقالات في جريدة ":"كوكب افريقيا"،،،

ومن وطنيته ما ذكره المحقق الجزائري الكبير عمار الطالبي أن ملك المغرب لما زار الجزائر عام 1319هـ دعاه للغذاء معه مع الوفد إعتذر إليه بأبيات شعرية، والسبب هو أ لا يجلس مع الوفد الفرنسي، ... التقى بالشيخ محمد عبده في زيارته للجزائر عام 1903م ونظم قصيدة بالمناسبة ، وكانت بينهما مراسلات..(39)..

---

38)- عمار الطالبي، ،ابن باديس،حياته وآثاره، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1403 هـ/1983 م، الجزء 1، ص.29

39- نفس المرجع، ص، 32، 33،

يقول فيه الشيخ محمد رشيد رضا:"...ومن خيار علماء الجزائر الشيخ محمد بن خوجة والشيخ عبد الحليم بن سماية وقد عهد هؤلاء الفضلاء الى الشيخ محمد عبده أن يوصي صاحب المنار بأن لا يذكر في مجلته فرنسا بما يسوؤها لئلا تمنع المنار من الجزائر ، وقالو له :" إننا نعدها مدد الحياة لنا فإذا انقطعت انقطعت الحياة عنا".40

الإنتاج الشعري:

-نشرت له قصيدة في مدح الإمام محمد عبده - مجلة المنار - المجلد (6(، وأعاد نشرها كتاب «نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة»، وله تقريظ في قصيدة وقطعة من موشح نشرها كتاب: «تاريخ الجزائر العام»، بالإضافة إلى قطعة اعتذارية رفعها إلى ملك المغرب في زيارته للجزائر - تضمنها كتاب: «ابن باديس - حياته، وآثاره»، فضلاً عن قصيدة بمجلة «الأصالة» - العدد 13 - مارس/ أبريل 1973.

الأعمال الأخرى:

-كتب مقالات في الأدب والسياسة والاجتماع والأخلاق، نشرتها صحف عصره : الإقدام، وكوكب إفريقيا، والمغرب (الجزائرية)، وفي جريدتي المشير والوزير التونسيتين، وغيرهما، وله رسالتان في الفقه والتصوف. وبحث في «فلسفة الإسلام» قدمه إلى مؤتمر المستشرقين بالجزائر (1905) قرأ الفصل الأول منه على الحضور، غير أن حكومة الاحتلال رفضت طبعه ضمن أعمال المؤتمر، وهو)الآن) في حكم المفقود.

مكانته العلمية:

كان الشيخ عبد الحليم بن سماية عالم تُشد إليه الرحال. فزاره الطلبة الذين كانوا يوفدون على الجزائر العاصمة من المناطق الداخلية أو من خارج البلاد .فقد استقبل الإمام محمد عبده خلال زيارته إلى الجزائر عام 1903.

يرى الباحث الدكتور علي مراد أن بن سماية كان من أكبر المتأثرين بأفكار محمد عبده وسعى من خلال منصبه بالمدرسة الثعالبية إلى الترويج لها بين طلبته الموجهين نحو الوظائف الإدارية والقضائية والدينية.

-2-نفسه، ص4034 .

كما راسل الإمام عبده بعد رجوعه إلى مصر. ونشر الشيخ محمد رشيد رضا هذه الرسالة مع قصيدة في كتابه ‘‘تاريخ الإمام.’’

وقال فيها الشيخ بن سماية عن الشيخ محمد عبده ((هذا الرجل الجليل رجل حنكته تجارب الزمان، واستقصى أحوال الأمم حتى ميّز منها ما زان وما شان، وتطلع من الفنون على اختلاف أنواعها، ومواضيعها، وأعمل فكره أعمق تفكر وتدبر في الحبل المتين والقرآن المبين)).

وزاره أيضا العالم الزيتوني الشيخ محمد الخضر حسين في سنة 1904 في رحلته إلى الجزائر. وكتب عند عودته إلى تونس عن إعجابه بشخصية الشيخ ابن سماية وعلمه.وقال في هذا الصدد: ‘‘التقينا بالشيخ عبد الحليم بن سماية، فغمرنا بنفحات خلقه الناضر، واختلى ألبابنا بفصاحة لسانه الساحر.’’ وجالسه في بيته في مسامرة دامت ست ساعات. ويقول الشيخ الخضر بعد هذه المجالسة:

"كلام يشهد لصاحبه بسلامة الذوق والولوع بالكشف عن أسرار المسائل دون الاكتفاء بتصوراته المجردة."

من مواقفه السياسية ، الشجاعة وقول كلمة الحق في وجه الاستعمار:

يشكل الشيخ عبد الحليم بن سماية مع مجموعة من العلماء والمثقفين كالشيخ عبد القادر المجاوي والشيخ المولود بن الموهوب وعمر بن قدور وعمر راسم ...كتلة المحافظين التي تعاطفت مع فكرة الجامعة الإسلامية التي نادى بها الشيخ جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده.

وتعاونوا مع مجموعة من السياسيين المتنورين أمثال محمد بن رحال وأحمد بوضربة والشريف بن حبيلس للمطالبة بتحسين الأوضاع الاجتماعية والتعليمية والسياسة للجزائريين؛ فطالبوا بإلغاء قانون الأهالي وإعادة نظام القضاء الإسلامي، واحترام التقاليد الجزائرية، والسماح لهم بحرية التنقل والسفر خاصة إلى المشرق العربي.

تزعم الشيخ عبد الحليم بن سماية **حركة المعارضة لقانون التجنيد الإجباري**.فترأس جلسة يوم 25 جويلية 1911 بقاعة المجلس البلدي بالعاصمة، وحضرها أعيان المسلمين وتحدث باسم الوفد معربا عن رفضهم الجميع لمشروع التجنيد الإجباري.

ونملك اليوم معلومات دقيقة عن هذه الجلسة ومداخلة الشيخ بن سماية بفضل المقال الذي نشره الصحافي والمصلح الجزائري المعروف عمر بن قدور في جريدة "الحضارة"الصادرة في آستانة بتركيا. وقد عثر عليه الدكتور صالح خرفي وأعاد نشره ضمن كتابه: "عمر بن قدور الجزائري" الصادر في عام 1984 عن المؤسسة الوطنية للكتاب.

ونذكر هنا هذه الفقرة من هذا النص وهي تكشف عن وقائع هذه الجلسة التاريخية: ((تقدم واستدل بآيات قرآنية على أن المسلمين إذا أدوا الخدمة العسكرية للدولة الفرنسية لا يكونون مسلمين بجميع معاني الكلمة..)) ومعنى دلك تحريم التجنيد في الجيش الفرنسي بالنسبة للمسلمين....

وفي هذا الاجتماع أبدى الشيخ بن سماية معارضته للتجنيد الإجباري للاعتبارات الدينية والاجتماعية التالية:

- عدم قدرة المجندين المسلمين على ممارسة شعائرهم الدينية بإجبارهم على الإفطار في رمضان وتأخير الصلاة.
- محاربة إخوانهم المسلمين وهذا ما يتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي.
- **تحويل المجتمع الجزائري إلى مجتمع مكون من طبقتين متمايزتين: المجندون وغيرهم.**

بغضه الشديد لفرنسا:

روي أن شخصا سأله أن يعلمه ذكرا يتقرب به إلى الله تعالى:" فقال له : قل في الصباح وعند الظهر وفي المساء:" لعن دين فرانسا، يلعن دين فرانسا ،،،،وكررها"

كما روى عنه الشيخ الزاوي في لقاء به مسجل على موقع اليوتيوب : أن السلطة الفرنسية كرمته بوسام،،،،أخذه وعلقه في ذيل حصانه...[41]....

41 يمكنك الرجوع إلى موقع اليوتيوب: (https://www.youtube.com/watch?v=irEgKlQTD4o)

و من مواقفه الجريئة: إصداره لفتوى بعدم جواز محاربة الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى لأنها مسلمة ويرتبط بها الجزائري برابطة دينية وولاء روحي بحكمها تمثل الخلافة الإسلامية.

ويرى المؤرخ الفرنسي(شارل روبير أجرون) أن الحملة التي خاضها زعماء الأهالي على اختلاف منطلقاتهم وأهدافهم لم تحقق إلا مطالب قليلة تمثلت في سن الالتحاق بالجيش، وإعطاء بعض الصلاحيات للجماعة الفيلق المتقطع من عشائرها.

وخصصت له مجلة "التلميذ" التي كانت تصدرها الجمعية الوداية للتلاميذ المسلمين بإفريقيا الشمالية عدة صفحات. وكتب عنه تلميذه الشيخ أبو عبد الله محمد الحسن الحجوي مقالا طويلا ذكر فيه جوانب من حياته وأعماله.. وقد وصفه بأنه كان ((حسن المحاضرة، فكه المجالسة، متين الدين...))

ونقلت مجلة "الشهاب" الإصلاحية خبر وفاته. كما وصفته بما يليق بمقامه الكبير وعلمه الغزير ونضاله المستميت في سبيل دينه ووطنه. فهو في نظر الشيخ إبن باديس: ((عالم عامل، غيور على دينه ووطنه مخلص لهما قضى حياته مدرسا بالمدرسة الثعالبية فبث روحا طيبة فيمن اتصلوا به من تلامذتها معظما محترما عند زملائه فيها وعند رؤسائها)).ثم أضاف: ((رحمه الله وجازاه عن العلم وخدمته واحترامه والاعتزاز به خيرا وعزى أهله وأهل العلم فيه خير العزاء.))

وفاته:

وتعرض الشيخ عبد الحليم بن سماية لمضايقات واضطهاد سلطات الاستعمار، فأصيب جراء ذلك بمرض عقلي لازمه حتى وفاته في 7 رمضان 1351 هـ الموافق ل 4 جانفي 1933 م، ودفن في مقبرة الشيخ عبد الرحمان الثعالبي.رحمه الله تعالى.....

رابعا) –الأستاذ المصلح محمد بن مصطفى بن خوجة(رحمه الله)

(1864 / 1915م)

- **نشأته :**

ولد بالعاصمة عام 1281هـ/1865م درس في مسجد (سفير)بدء من عام 1895م،،عرف عنه الحرص على مطالعة كل ما يرد من المشرق من كتب ومجلات وخاصة كتب الزعيم الاصلاحي المصري (محمد عبده) – رحمه الله–،كما كان يقوم بشرح مقالات صديقه (رشيد رضا)في المجالس ، حتى يروى أنه لما وصله تفسير رشيد رضا لسورة العصر درّسه عشر مرات، وكانت له علاقة مراسلة مع رشيد رضا الذي وصفه(أي بن خوجة) : "بأنه العالم صاحب التصانيف المشهورة،،،"...وهو ما أثار عليه السلطة الاستدمارية فقامت بعزله من وظيفته كوكيل لمدرسة الثعالبي.....

– ثقافته:

عرف بقول الشعر وسعة المطالعة قال عنه محمد راسم:" الشيخ محمد بن مصطفى بن خوجة شاعر الجزائر في وقته وافصح علمائها وأعلمهم بتراجم علماء الجزائر ، كثير الاطلاع ولوع بالكتب العصرية شغوف بمحبة محمد عبده،وهو الذي أدخل مذهبه الى الجزائر وعرف الناس به وبجمال الدين وأصحابهما ، يعرف الشرق كأنه عاشره مائة سنة ،حلو الكلام كان إذا خطب يستدل بالآيات والأحاديث كأن القرآن وكتب الآثار مرآة أمام عينيه"،له ديوان شعر فُقد مع الاسف(42).

أسس الدعوة والإصلاح عند بن الخوجة:

1–إصلاح حال المرأة : لاعتقاده أن أساس صلاح المجتمع إصلاح أمور المرأة ،كتب في المجتمع والاسرة وحقوق المرأة، كتاب:" الإكتراث في علوم الإناث"طبع عام 1895م و" اللباب في أحكام الزينة والحجاب".. طبع عام 1907م،

2–ذم التعصب : كان دائم التنبيه الى خطورة التعصب باعتباره غشاء العقل وخصم المنطق، وكتب في ذلك كتاب سماه:"إقامة البراهين العظام على نفي التعصب عن دين الاسلام" طب 1902م

3–الدعوة للاجهاد: كان لبن الخوجة موقف حاسم من الاجتهاد الديني وضرورته في ذلك العصر ؛باعتباره أساس النهضة والتقدم ن ولهذا حرص على تحقيق تفسير عبد الرحمن الثعالبي المسمى :" الجواهر الحسان" في سبع نسخ كاملة ،،،كما عمل على نشر مخطوط نادر للسيوطي في الدعوة للاجتهاد بعنوان:" الرد على من أخلد الى الارض وزعم أن الاجتهاد في كل عصر فرض".وكان دائما يؤكد على مرونة الشريعة وتبدل الأحكام بتبدل الزمان والمكان،

4–التأكيد على وجوب الاستفادة من العلوم العصرية:لأن أساس النهضة التفاعل الايجابي مع بقيية الحضارات،تماما كما استفادت حضارتنا في عصورها الذهبية، كما أخذ الغزالي المنطق من اليونان ،،،وهو ما أكد عليه في كتاب ضمنه مجوع مقالات في الدعوة والاصلاح ،وقد تأثر فيه كثيرا بكتاب أقوم المسالك للمصلح المعروف خير الدين التونسي(ت 1307هـ)،وكتاب نهاية الايجاز لرفاعة رافع الطهطاوي.....وكان شديد التأثر

42– انظر:أبو القاسم ،سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ط1،ج7، م،س،ص186

بمحمد عبده مثل ابن سماية حيث رثاه بعد موته بقصيدة مؤثرة،،،ولهذا يقرر عمار الطالبي أن للشيخ محمد عبده مدرسة في الجزائر رائدها الأول : محمد بن مصطفى بن خوجة،وعبد الحليم بن سماية....(43)

والملاحظ أن لمحمد عبده تأثير كبير جدا على حركة النهضة والاصلاح في الجزائر حتى أن أحدهم كتب بعد خبر موته يقول:"...حتى كاد يقع لبعض الجزائريين ما وقع لسيدنا عمر بن الخطاب بعد موت خير الانام ،حيث قال للناس:" من قال منكم :مات محمد ،أضرب عنقه".(44)

– وسائل الدعوة والاصلاح عند مصطفى بن الخوجة:

يظهر من خلال ما يذكره أبو القاسم سعد الله أن مصطفى بن خوجة قضى حياته:"بين المسجد وجريدة المبشر وتأليف الكتب،ونشر الدعوة بالخطبة في المساجد ، وكان من الخطباء الين يشار اليهم بالبنان، فصاحة وبلاغة، جامعا بين الشعر والنثر،مؤمنا بابلاصلاح وفق منهج الامام محمد عبده على أساس التربية ونشر الوعي الديني بعيدا عن أتون مستنقعات السياسة،،،وقد وصفه عمر راسم بأنه :" أب النهضة الجزائرية"(45).

المحاضرة السابعة:

شيخ الجماعة

الأستاذ المصلح المولود بن الموهوب، (رحمه الله)

(1283 / 1349 هـ – 1866 / 1939 م)

نشأته :

43-انظر عمار الطالبي،المرجع السابق، ص: 37...39

44-نفسه،ص41،..و رغم ما في ذلك من مبالغة، إلا أن محمد عبده ومدرسة المنار تعتبر حلقة وصل ثقافي هامة بين المغرب والمشرق.

45- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ط1،بيروت:دار الغرب الاسلامي،1998 ،ص83...85

ولد الشيخ ابن الموهوب في 1866 م ،في مدينة قسنطينة، وأصله من قرية "إيموله" بناحية صدوق(بلدية تابعة لبجاية تقع قرب الصومام)، وكان لأسرته زاوية علمية، وكان والده – محمد السعيد – موظفا في سلك القضاء.. كان المولود ابن الموهوب وحيد أبويه، ولم تطل حياة والده بعد ميلاد ابنه، فكان محل عناية أمه، وحرصت على تعليم وحيدها، خاصة أن والده ترك من حطام الدنيا ما كفاه ..

بعدما حفظ الشيخ المولود القرآن الكريم أقبل على التّضلّع من مختلف العلوم، وكان من شيوخه محمد الشاذلي القسنطيني، الذي تولى إدارة المدرسة العربية – الفرنسية، التي كانت تخرج موظفي السلك الديني الذين تحتاجهم الإدارة الفرنسية.. والشيخ عبد القادر المجاوي، الذي يبدو أن الشيخ ابن الموهوب تأثر به كثيرا، وقد لازمه اثنتي عشرة سنة12 سنة ، وقد ساعده على الانضمام إلى هيأة التدريس في المدرسة الكتانية... وعندما توفى الله – عز وجل – الشيخ المجاوي في سنة 1913م ورثه تلميذه الشيخ ابن الموهوب مكانته العلمية والاصلاحية ،حتى أطلق عليه لقب "شيخ الجماعة"، وهو اللقب نفسه الذي أطلق على الشيخ المجاوي قبلا ، خاصة أن الشيخ حمدان لونيسي كان قد هاجر إلى الحجاز.. وكان نجم الإمام ابن باديس لمّا يسطع بعد.. ويذهب بعض الدارسين إلى أن الشيخ ابن الموهوب التقى بالإمام محمد عبده عندما زار قسنطينة في سبتمبر 1903، وظهر تأثر الشيخ ابن الموهوب بأفكار الإمام محمد عبده جليا في دعوته إلى نبذ الخرافات، ومحاربة البدع، والدعوة إلى العلم ونشره.. والابتعاد عن الخوض في الأمور السياسية ..ومن تلاميذ الشيخ ابن الموهوب الأستاذ مالك ابن نبي والأستاذ محمود بوزوزو.. الذي كان رئيسا لجريدة "المنار" في أوائل الخمسينيات.....

علاقته بابن باديس :

علاقة احترام وتقدير علمي وديني، والدليل ما كتبه الشيخ المولود ابن الموهوب في تقريظ رسالة الإمام ابن باديس التي انتقد فيها الشيخ (ابن عليوة،احد شيوخ الطرقية) تحت عنوان "رسالة جواب سؤال عن سوء مقال". وقد وصف الشيخ ابن الموهوب الإمام ابن باديس بـ "الأخ في الله، العلامة، فرع الكمال، وزبدة الأصول، ذو الأنس والتأنيس السيد عبد الحميد ابن باديس". كما وصف الإمام ابن باديس الشيخ ابن الموهوب بـ "العلامة

المتفنّن، الألمعي، المفكر، الشيخ المولود ابن الموهوب، المفتي المالكي بقسنطينة". وكان هذا في سنة 1341.هـ. (1922م)(46).

ترك الشيخ المولود ابن الموهوب بعض الآثار النشرية منها "مختصر الكافي في العروض والقوافي"، و"نظم شرح الكافي المسمى التبر الصافي"، و"نظم الآجرومية"، و"شرح منظومة التوحيد" – لشيخه عبد القادر المجاوي...

بعض القصائد الشعرية، منها:قصيدته المعنونة بـ "المنصفة" التي مطلعها :

صعود الأسفلين به دهينا لأنا للمعارف ما هدينا

- دور التربية والتعليم في النهضة عند الاستاذ المولود بن الموهوب:

كان الشيخ المولود بن الموهوب أستاذا للفلسفة والعلوم الإسلامية والأدب العربي بالمدرسة الجزائرية الفرنسية بقسنطينة، وكان يقيم محاضرات بنادي صالح باي يؤمه الكثير من الناس. وكان الشيخ (المولود بن الموهوب) في مقدمة من أدركوا –ربما أكثر من غيره– خطورة التعليم في نهضة الأمم ، فأعلنها حرباً على الجهل،وقد علّمه التاريخ أن تحرر أي شعب متوقف على يقظته العقلية وأن كل الآفات في الجزائر (مثل قانون الأهالي والمحاكم الاستثنائية) لا تنتهي إلاّ بإنشاء " المدارس ، المدارس ثم المدارس" (تكرارها دليل أهميتها)،.وجهود هؤلاء العلماء كانت مقدمة لجهود رجال الإصلاح على رأسهم الشيخ الإمام(عبد الحميد بن باديس) الذي أسس مع ثلّة من العلماء (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين).

تميز فكره الإصلاحي بالإيمان بفكر التقدم والأخذ بالعلوم الحديثة وكان يدرس بالعربية ويعرف الفرنسية مما جعل فكره شموليا، كان كسلفه – الشيخ المجاوي– يركز على إصلاح مناهج التعليم مع التسامح والعودة إلى الأصول ومحاربة الجهل والتعصب والاتكالية والكسل، ولهذا كان يرى أن أصل أزمة أي مجتمع تكمن في أمراضه الداخلية، جهله، تعصبه، كسله،... ولهذا كان يلحّ في ضرورة إنشاء المدارس ودراسة العلوم التقنية كالزراعة، الطبيعة، الكيمياء، الرياضيات، وكان يؤمن بأن " احترامنا متوقف على جودة عملنا.. " .(47)

في عام 1909 م ألقى خطبة في افتتاح المدرسة الجزائرية–الفرنسية بقسنطينة بعنوان:"الجزائريون والحضارة" أثبت فيها فكرة التقدم في الإسلام مستشهدا بسيرة الرسول(صلى الله عليه وسلم) وبعدد من المفكرين الغربيين ،ك(فكتور هيغو) (وفولتير) و(شكسبير) الذي استشهد بكلمته في التسامح :" إنك قد تحصل بابتسامة على ما كنت تنوي الحصول عليه بالقوة " .. كما كان يدعو إلى التأني وعدم العجلة في عملية التغيير مستشهدا بقول رجل سويسري لأولاده لدى محاولتهم تسلق جبل:" تحركوا ببطء لكي تتسلقوا بسرعة "، وهو ما

---

46)– عمار الطالبي: عبد الحميد ابن باديس حياته وآثاره. بيروت : دار الغرب الاسلامي ،ج3. ص ص 168 ،170 ، 173.

(47)– أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية،ج2، م.س،ص 158 ،159

يعبر فعلا عن عقلية شديدة الوعي بمنهج علمي ايجابي في التغيير الاجتماعي عن رأيه في الإصلاح والتغيير كما سنراه عند أحد أبرع تلاميذه وهو (مالك بن نبي)، كما كان (بن الموهوب) يدعو في خطبه الجزائريين لليقظة ويصرخ فيهم : "استيقظوا،،،، استيقظوا وأيقظوا إخوانكم "...(48)

– قيمة الفعالية في الرؤية الحضارية عند بن الموهوب:كان لابن الموهوب رؤية حضارية حصيفة، مؤمنا بفكرة الجامعة الإسلامية، ففي محاضرة له عام 1910م شرح لمستمعيه مفهوم الحضارة الحقيقي بأنها ليست الزنا والكحول والأفعال الرديئة، ولكنها برنامج للعناية الصحية والعمل والعلوم والتسامح والتضامن والتقدم، وقد نظم لطلابه بنادي صالح باي عام 1911م شعرا حفظوه وتغنوا به ،لمعانيه أبعاد عميقة في الإصلاح المنشود يقول فيه(مترجما):

...إن العلم يزدهر بالعمل.
وإن الكسل يقتل موهبة الإنسان.
فاعملوا بجد أيها الشباب لتحصلوا على مكان مشرف.
اطمحوا مثل الآخرين إلى المجد.....
لا تيأسوا؛ لأنّ الله يسعف دائما أولائك الذين يفعلون الخير.
ألستم انتم نسل شعب عظيم؟.!!..
ألستم أبناء رجال شجعان؟!!...

فلا عجب أن يشهد المؤرخ الجزائري(أبوا القاسم سعد الله) أن الجزائر لم تعرف مثقفا فهم وأثر في تاريخ بلده منذ (حمدان خوجه) مثل هذا المفكر المصلح، بل أن حركة هذا العالم المفكر المستنير كانت أكثر فعالية واستمرارا... (49) لقد أضفى هذا الرجال على الحركة الإصلاحية صبغة جديدة ربما تكون غير معهودة وهي الفعالية حيث تحولت كتلة المحافظين من مجموعة مفككة وبدون فعالية إلى مجموعة نشطة مؤثرة تتمتع ببرنامج إصلاحي معين...ونجح في تجديد بعض العلماء والنوّاب في المجالس المحلية وأعضاء النخبة ومعظم الطلبة وبإتقانه الهجوم المباشر على الإدارة الفرنسية وحصر نفسه في برنامج إصلاحي، لم يؤمّن (ابن الموهوب) فقط نفسه ضد إمكانية نصب العراقيل أمامه، بل كسب عاطفة بعض المثقفين الفرنسيين (50) والمتخصص في مثل هذه الأفكار المستنيرة في التقدم

---

(48)– المرجع السابق، ص 160 .

(49)–أبو القاسم سعد الله،م، س، ، ص 162 ، 163 .

(50)– نفسه ،ص 164

والعصرنة والتي يقولها عالم شرعي في ذلك الوقت لا يسعه إلا الاعتراف بدور هذا الرجل العظيم في يقظة الجزائريين ، ونعترف بأثرها في طلبة والذين كان منهم المفكر الكبير مالك بن نبي – رحمة الله – الذي لا شك عرف هذه الأفكار و شكلت نواة أفكاره حول مشكلات الحضارة فيما بعد. وقد كان لأفكار هذا العالم المصلح تأثير كبير في عقول طلبته حيث شكلت عامل جذب وشد إلى أصول دينهم وحضارتهم بحيث يمنعها من الانسلاخ نحو الفكر التغريبي كما وقع بجماعة النخبة وكان المفكر الكبير (مالك بن نبي) -- – رحمه الله– من طلبته ،درس عنه مادة التوحيد والسيرة (51).

المحاضرة الثامنة

الاستاذ الفضيل الورتلاني (رحمه الله): (1900/1959م)

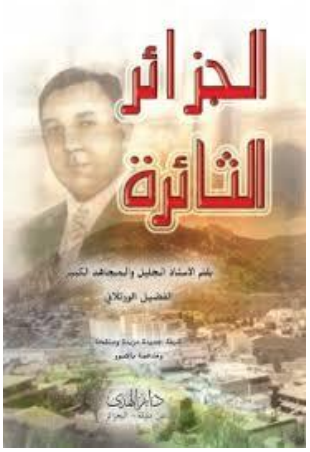

الشيخ الإبراهيمي الشيخ الورتلاني سيد قطب

(51)- مالك بن نبي ، مذكرات شاهد للقرن مالك بن نبي ، الطفل الطالب ،ط2 ،الجزائر ودمشق :دار الفكر 1404هـ/1984م،ص66.

يظهر في الصورة من اليمين إلى اليسار كل من الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، مصطفى السباعي، الفضيل الورتلاني، والشهيد سيد قطب.

الفضيل الورتلاني، كان –رحمه الله– إسما على مسمى؛ لكرم فضله على الدعوة والإصلاح داخل الجزائر وخارجها ،،،فهو من كبار الدعاة المصلحين الذين سطّروا أسماءهم بأحرف من نور، الفضيل الورتلاني– رحمه الله–(1959/1900م) ، الرجل الذي ما عاش لنفسه بل عاش للاسلام وللجزائر، بل وللعالم الاسلامي كله ....

– نشأته:

كان مولده يوم 06 فبرايرعام 1900م،بقرية (آنو) دائرة بني ورتيلان التابعة لولاية سطيف، في أسرة (حسنين)من أشراف بلاد القبائل الاشم،أسرة علم ،حيث كان جده الاعلى (جد والده)سيدي الحسين الورتلاني من كبار العلماء وهو صاحب (الرحلة الورتلانية)،،، عُرف عن الصبي منذ نشأته الذكاء والفطنة،حفظ القرآن الكريم ،ودرس الفقه على يد العلامة الشيخ(السعيد البهلولي) بمسقط رأسه،ولما شب انتقل الى مدينة قسنطينة عام 1928م وهي حينذاك مدينة يؤمها طلبة العلم من أصقاع البلاد ،وهناك انخرط في مجالس العلم التي كان يؤمها مرشد الامة وباعث نهضتها الامام (عبد الحميد بن باديس)،،وسرعان ما اكتشف الاستاذ اللمّاحة في تلميذه مخايل الذكاء والمقدرة العلمية ،فعينه ممثلا لجريدة (الشهاب) و مدرسا بالمدرسة الخيرية منذ عام 1932م،،، فانفتحت امامه بذالك آفاق واسعة لخدمة دينه ووطنه بما أوتيه من علم ومقدرة وإصرار،فساهم بفعالية في النشاط

الاصلاحي بلسانه ،يخطب ويحاضر على هدي أستاذه العظيم ،وبقلمه يحرر المقالات المشبّعة بروح الوطنية والايمان، والتي كان ينشرها في البصائر والشهاب ،،،وهو يتطلّع للاصلاح والتغيير الذي نهل مشربه من روح وعقل أستاذه ابن باديس.52.

وقد كان الشيخ ابن باديس لمّاحة عارفا بأقدار الرجال ،فعرف في تلميذه الكفاءة اللازمة للقيام بالمهمّات الصعبة ،فأوكل اليه مهمة تعهد المغتربين من ابناء الوطن المغتصب، للحفاظ على دينهم وروحهم الوطنية واخلاقهم؛ استعدادا لميقات معلوم،،،،،ورغم صعوبة المهمة، لم يتردد الفضيل في القيام بالواجب الخطير في ظل ظروف الصراع والغطرسة الاستدمارية ،فشد عصا الترحال الى فرنسا عام 1936م.

– نشاطه الدعوي:

انبرى الفضيل الداعية للقيام بتلك المسؤولية الدينية في تبليغ رسالة التوعية الدينية والوطنية ،بما حباه الله تعالى من سمات أهّلته لتلك المهمة الشاقّة،وصدق من قال :"إذا أرادك لأمر هيّأك له"...

ومن أبرز هذه السّمات: الهمّة العالية التي منحته قدرة لا تفتر على النشاط والحركة ،وعمل متواصل لا ينقطع ،وهذا ما يغذيه عند الفضيل إيمانه العميق برسالته،والحماسة المتدفقة لخدمة دينه ووطنه؛ والايمان وقود الطاقة والدافع للحركة، وأساس البناء الحضاري كما يقول مالك بن نبي –رحمه الله– .

و قدرة على البيان والخطابة والاقناع ،ولايخفى ما لهذه الميزة من دور في نجاح الداعية ،باعتبار أن الاسلوب الدعوي البليغ من أهم شروط التبليغ الناجح،وهو ما كان للفضيل فيه القدح المعلّى،ومن ذلك مايرويه عنه الاستاذ(محمد الصالح الصديق)،،،فقد ألقى خطابا يوما في حشد من المغتربين الجزائريين حول الدين والوطنية،ألهب فيهم الحماس الديني ،وخلب به الألباب ،ولما نزل من المنصة،تعالت بعض الاصوات باللهجة الامازيغية تبدي أسفها من عدم فهمها محتوى الخطاب ،،فصعد المنصة ثانية وألقى خطابا بتلك اللهجة اهتزت له القاعة.53

---

52)–الفضيل الورتلاني،الجزائر الثائرة،ط3،الجزائر:دار الهدى،1992م،،ص30

53)_–المرجع السابق،،ص 20، 1

وبذلك تمكن في ظرف قصير نسبيا من إنشاء أكثر من ثلاثين ناديا ومدرسة لتعليم ابناء المسلمين وتحصينهم من مظاهر المسخ الثقافي والخلقي.تحت اسم (التهذيب)..تعرف من خلالها على كبار العلماء ورجال الفكر ، لعل من أشهرهم أمير البيان (شكيب أرسلان)...ولم تكن عين الاستدمار الفرنسي غافلة عن خطورة مثل هذه النشاطات على أهدافها، فعمدت الى تعقّب حركاته، ومحاصرته،وحاولت اغتياله – كما يذكر نجله الاستاذ مسعود حسنين – مما اضطره ذلك الى مغادرة فرنسا سرا (بمساعده صديقه العلامة شكيب ارسلان)فرحل الى مصر عام 1938م بعد أن بذر هناك(فرنسا) بذورا طيبة،....وكانت القاهرة في ذلك الوقت ملتقى الثقافات ومنبع العلوم ومجمع العلماء والمفكرين ،فوجد فيها الفضيل الساحة التي يفجر فيها طاقاته الجهادية لخدمة دينه ووطنه،وقد وجد الفرصة السانحة لمواصلة دراسته بالأزهر الشريف،ولجدّه واجتهاده حصل العالمية من كلية أصول الدين والشريعة الاسلامية ،،،

ولم يكن الطّلب ليشغل الفضيل عن خدمة وطنه وشعبه فأسّس عام 1942(الجمعية العليا للدفاع عن الجزائر) ،كما أسس عام 1944(جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا)ثم أسّس (مكتب جمعية العلماء المسلمين)في القاهرة عام 1948م والذي استقبل فيه الشيخ(البشير الابراهيمي) عام 1952 م...وكان قد تعرف على شخصية الامام (حسن البنا)–مؤسس جماعة الاخوان المسلمين– وأُعجب بأفكاره في الاصلاح والتغيير ،وعرف أنهما ينهلان من مشكاة واحدة ،فأصبح عضوا في حركة الاخوان المسلمين لاقتناعه بضرورة تظافر الجهود في هيآت ومؤسسات لخدمة الدعوة ،خاصة مع تلك التحديات الكبرى التي تتهدّد الاسلام في جذوره تحاول استئصاله.

ولم تكن خصائص الفضيل وماتميّز به من قوة ايمان بالمبدأ وحماس فياض للعمل ،وذكاء وقّاد وهمة لاتفتر إضافة الى تلك المقدرة الخطابية التي تميّز بها ،لتخفى على البنا ،فانتدبه للعمل الاصلاحي في اليمن مع بعض اخوانه ، مثلما فعل من قبله أستاذه في الجزائر الامام ابن باديس54(حين انتدبه للعمل بفرنسا) .ولما كان الفضيل قد نذر نفسه لخدمة قضايا الاسلام والمسلمين أينما حل وارتحل ،فإنه لم يتردد في تحمل المسؤولية الخطيرة ،خاصة في تلك الظروف العصيبة :فتن داخلية ومؤامرات خارجية ....والمعروف أن العمل الدعوي في ظل الفتنة هو من أخطر وأصعب الامور ....وفعلا فقد وجد الفضيل الظروف في اليمن على أسوأ ما يكون : فوضى عارمة ،وجهل مطبق طال كبراء القوم بله عوامهم... ولم يمنع ذلك الفضيل من تأدية واجبه على أحسن وجه(حيث قدم نفسه

54)_عمر بن قينة،..أعلام و في الفكر والثقافة والادب ،دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق2000...

هناك كممثل لشركة تجارية،وكان يقوم بالقاء الدروس والمحاضرات في بعض المدن الرئيسية في اليمن يهيء الجو للثورة على نظام يحيى حميد الله الفاسدة ،وهو ما تم فعلا ، حيث قامت ثورة تزعمها حزب الاحرار انتهت بمقتل الامام يحيى عام 1948م لكن الثورة لم تحقق كل أهدافها ففشلت واتُهم الورتلاني بتدبيرها،، فخرج الفضيل من اليمن سرا عن طريق البحر، اضطرّ خلالها لسكنى البحر ،حوالي أربعة أشهر، إذ لم يجد دولة واحدة تستقبله،خوفا ووجلا ،أو خضوعا لضغوط ما...

في عام 1950م اتّسع نشاطه الدعوي فسافر الى كل من سوريا ،تركيا ،اليونان ايطاليا،سويسرا.. وغيرها.....

بعزيمة لا تفتر غير عابئة بالتعب الجسمي ،وأخطار ومصاعب الطريق ،لأن الرجل صاحب رسالة ووارث للنبوة ..وقمين بمن كان هذا شأنه أن لا ينحني أمام الصعاب مهما كانت ومهما اشتدّت وطأتها ....وماكادت تندلع الثورة التحريرية حتى انخرط في وفد جبهة التحرير الوطني في القاهرة لخدمة قضية وطنه بالدعم المادي والمعنوي،عن طريق جمع التبرعات ،والحث على دعم الثورة واستنهاض الهمم بالخطب وبما كان يكتبه من مقالات حماسية تتميز بصدق العاطفة وبلاغة الاسلوب،كما نقرؤها في (الجزائر الثائرة)،وهو كتاب جُمعت فيه هذه المقالات ....ونظرا للمجهودات الجبارة التي كان يبذلها الرجل ،وكثرة تنقلاته وأسفاره في خدمة الدعوة ،أنهكه المرض ،فانتقل للتداوي باحد مستشفيات تركيا،لكن ارادة الرحمن شاءت أن تنتقل الروح الى بارئها راضية مرضية ،وكان ذلك في 12مارس 1959م دون أن يشهد استقلال وطنه،رحمه الله تعالى في الخالدين.

– خصائص الدعوة عند الفضيل– رحمه الله –:

يمكننا أن نرصد –باختصار– أهم ما تميز به الفضيل في حركته الدعوية التي نذر نفسه لها.وهي:

1)_ **التفاؤل وقوة العزيمة** : رغم أن ليل العالم الاسلامي بصفة عامة وليل الجزائر بصفة خاصة كان كالح السواد،وأن الاخطار كانت تحوط الامة من كل جانب ،وان مرحلة الاستضعاف طالت واستطالت،إلا أن الفضيل كان متفائلا بالمستقبل،وبأن النصر قادم ،وأن المستقبل لهذا الدين ،يذكر عنه صديقه(بعزيز بن عمر):"عرفت الا خ الورتلاني ،أيام الطلب بقسنطينة وهو شاب يتقد ذكاء ويفيض نبلا واحساسا ،يبتسم للحياة،فلا نراه الا متفائلا بالمستقبل ،يتطلع الى الآفاق البعيدة،فتبدوا أمامه العقبات الكبيرة،ولكن ليس بالذي ترهبه العقبات فيجبن عن اقتحامها ،بل ان له من عزمه ما يذيب كل عقبة ومن نفس وثّابة ما يتغلب به على كل ما تقيمه الحياة

المتجهمة في طريق العاملين المخلصين"55 . ولا شك أن التفاؤل هو شرط العمل الناجح الفعّال الذي يضمن للدعوة التمكن والاستمرار؛لأن اليأس من شأنه في جميع الاحوال أن يفتر العزيمة ويتعب الجسد ويدفع للاستسلام بسبب الهزيمة الداخلية التي التي تصيب اليائس ،فلا عجب أن اعتبره الله تعالى قرين الكفر قال تعالى:"إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.." (يوسف/87).أما التفاؤل فهو ينبوع الحركة والحياة.وواجب الداعية أن يكون متفائلا مهما ادلهمّت الخطوب ،وأن يعمل على زرع التفاؤل في مُخاطبيه..ومن قال هلك الناس فهو أهلكهم أو أهلكُهم ،كما جاء في الحديث.....

2) _ سعة العلم: تعتبر محدودية المعرفة وضآلتها خاصة في الجانب الشرعي، من أهم معوقات الدعوة، لانها تؤدي الى نتائج عكسية بالنسبة للداعية فربما حكم فزلّ،أوقضى فظلّ وأظلّ،وذلك ما يؤدي الى تنفير المُخاطبين وعد م اقتناعهم بفحوى الخطاب ،وهذا ماجعل الفضيل –رحمه الله–يسارع الى مواصلة دراسته الشرعية في الازهر الشريف ،ويحصل منه على العالمية، فتمكن من ناصية المعرفة بما تميز به من ألمعية وتوقد ذهن ،وهو ماأهّله لأن يخلف، في بعض الاحيان (حسن البنا) في تقديم حديث الثلاثاء...

3) _ قوة النشاط والحركة: المثقف العضوي: الدارس لسيرة الرجل يتعجب لكثرة أسفاره ورحلاته التي جاب بها أقطار الدنيا ،شرقا وغربا ،ولم يكن ذلك رغبة منه في السياحة والترويح عن النفس،كما يفعل الكثيرون غيره ممن يبتغون عرض الحياة الدنيا،بل كان دافعه لذلك تبليغ الدعوة وخدمة قضايا أمته ووطنه،ومما ذكرنا نلمس ذلك الجهد الكبير الذي بذله لتحقيق هذا الهدف ،سواء في فرنسا التي أنشأ فيها ما يربو على 30ناديا في وقت وجيز ،أو في مصر على ماذكرناه،وكما يقول المتنبي : وإذا كانت النفوس عظاما **** تعبت في مرادها الأجسامُ

وهذا ما أدى الى اشتداد المرض بجسمه ،ثم وفاته فيما بعد،،،،ولا جرم فالداعية ليس فيلسوفا يوطوبيا ،يخاطب العقول من برجه العاجي ،ويقدم للناس النظريات المعرفية وهو متّكيء على أريكته ،دون أن يحتك بهم ويمتزج بمعاناتهم،ويتذوّق أحوال معايشهم، بل ان حياة الداعية حركة دؤوب وجهد مستمر لخدمة الناس

1)-مجلة البصائر،عدد8،سنة1،سلسلة 2 يوم،26سبتمبر1947م،نقلا عن الجزائر الثائرة،ص11 .

،بتوعيتهم وتثقيفهم ،ولم تكن الدعوة في أي وقت مجرّد خطب منبرية ومواعظ تُقدم في المناسبات فقط،وهو ما كان الفضيل –رحمه الله– يفقهه تماما...

4_ الموضوعية ونصرة الحق: من أهم صفاة الداعية ،أن يكون بجانب الحق والحقيقة مهما كان ذلك مخالفا لمقتضيات شخصيتة،ونوازع نفسيتة،وأن يكون صريحا بأدب ، وكذلك كان الفضيل في دعوته،،،،لقد كان أشد ما يؤلمه –رحمه الله–تفرّق المسلمين وتشتّتهم ،كلُ يدّعي وصلا بليلى..فكان دائم الانكار عليهم ،يدعوهم الى التعارف ثم التآلف والتعاون خاصة أمام خطورة التحديات الكبرى التي تواجه جميعهم.

وكان شديدا إزاء حكام المسلمين باعتبارهم مسؤولون أمام الله عن شعوبهم ومصير أوطانهم. وكان لا يفتأ يوجّه أنظارهم الى حال أعدائهم المتماسكين المتعاونين في باطلهم، فتحت عنوان: "اقتدوا بخصومكم أيها العرب"....نراه ينعي على العرب تبلدهم و تفرقهم على حقهم واجتماع اليهود على باطلهم،....56

ورغم أن أصول الفضيل العرقية، بربرية،وهو يتقن الحديث بلهجة البربر، الا أنه كان من أشد أنصار اللغة العربية مدافعا ،منافحا ،بل كان أشد مايغيضه إهمال العرب للغتهم وتقاعسهم عن نصرتها، مع ما تتعرض له من عدوان كاسح،واعتبر أن اهانتها من اهانة الاسلام ذاته،ولا يكتفي بذلك بل ويذهب الى أن سكان بلاد المغرب العربي ومنها الجزائر كلهم عرب ،إذ أن البربر قد تعرّبوا بمرور مراحل التاريخ ؛بامتزاج النسب مع الوافدين العرب،وكونهم شديدوا الاعتزاز بدينهم المرتبط بلغته ،اللغه العربيه...و يظهر لنا الفضيل من خلال ذلك بعيدا عن التعصب المقيت لغير دينه ولغته العربية كما يفعل غيره ،حيث نجد منهم من يفرق _عن حسن نية أو عن سوئها– بين الاسلام وبين اللغة العربية،ولهذا كان الفضيل يحذّر من أدعياء الوطنية المزيّفين الذين يدندنون برفض اللغة العربية،وما دندنتهم تلك الا صدى لما يردّده الاستدمار الفرنسي،الذي رفع دعوى البربرية في اطار سياسته الخبيثة (فرّق تسد)57..

ولهذا كان –رحمه الله– شديد النكير على أولئك الذين يجأرون بحب فرنسا، معتقدين أنها مثال الحضارة والتقدم، والجمال والكمال،متناسين ماقامت به من جرائم يندى لها جبين الانسانية، وختم مقالا له في الموضوع

---

1)–البصائر،عدد29 سبتمبر1954،م س،ص23

57)–الجزائر الثائرة،م، س،ص63،64

بنداء له مغزى عميق يقول فيه:<<..يا أصدقاء فرنسا الكرام...،إنكم في عصر المعرفة والمنطق، فالرجاء أن تحرصوا على معرفة الحقائق في عظائم الامور وعلى تحكيم المنطق وحده دون العواطف والشهوات >>..58

وقد كان أسلوبه في بيان جرائم الاستدمار الفرنسي تستند الى شهادات الفرنسيين أنفسهم من باب "وشهد شاهد من أهلها"،،وكان لذلك وقعه في النفوس واقناعه للعقول.كما يظهر من خلال الرسالة التي وجهها الى رئيس حكومة فرنسا (دي موليه)59 ،،أسلوب الداعية الراشد، المعتمد على عبارات لينة ملطّفة لكسب ثقة المُخاطب،واستنفار قواه العقلية والعاطفية لتقبل الرسالة،بعد تهيئة أرضية ملائمة للاقناع ،وهو أسلوب الدعوة التي أمر بها الله تعالى نبيه موسى–عليه السلام– وأخوه حين أرسلهما الى فرعون (إذهبا الى فرعون إنه طغى، فقولا له قولا ليّنا لعلّه يتذكّر أو يخشى] (طه/43،43) . استمع اليه وهو يقول في رسالته:

<<...وعليه فإني كجزائري حر،كرّس حياته لخدمة هذه الامة المظلومة، وقضى زهرة شبابه في بناء نهضتها ،وكمغربي عارف بما في المغرب العربي كله،ومؤمن بوجوب وحدته المقدّسة،ثم إني كإنسان مؤمن بالمثل العليا ومحب لخير الانسانية جميعا والتي منها الشعب الفرنسي العريق[لاحظ]،أتقدم من أجل ذلك كله الى دولتكم بهذا الكتاب المفتوح،راجيا أن يصادف ما فيه من حق ثقيل كل قبول واهتمام عندكم؛ لأنكم انما دعيتم الى هذا المنصب خصيصا لأجل إحقاق الحق [لاحظ] ،مهما كان ثقيلا على بعض النفوس المريضة،مرضا مزمنا،ولانه الطريق الوحيد الذي يؤدي إلى إسعاد امتنا وأمتكم جميعا. [لاحظ] ...>> (60) ثم عدّد له مطالب الشعب الجزائري.

وبعد اندلا ع الثورة نراه يوجه خطابه الى الشعب الجزائري بأسلوب دعوي حصيف وبكلمات حارة ،لا تدع عذرا لمعتذر ،ولا حجة لمنكفيء....استهلّه بالنداء أولا: "أيها المسلمون الجزائريون"، ثم يذكرهم ببشاعة أعمال الاستدمار وفضائعه،،، ثم"أيها الاخوان الجزائريون"ويذكر لهم كل ما تم بذله من جهود سلمية في سبيل نيل استقلالهم وحفظ كرامتهم دون جدوى ،....ثم"أيها الاخوة الجزائريون الابطال"ويحثهم على الجهاد المسلح

---

58)–نفس المرجع، ص111 .

59)–نشرتها جريدة بيروت المساء يوم 26/ 27فيفري 1956، والمنار الدمشقية،عن م، س ، ص 162

3)– م س،ص162، 163

الذي ما بقي لهم سبيل سواه،مذكرا اياهم أنه السبيل الذي ماتركه قوم الا ذلّوا...،ثم "أيها الاخوة المسلمين"ويحذرهم من التراجع أو الانخذال رغم صعوبة الطريق وخطورته،ويحثهم على بذل المزيد من التضحيات في سبيل تحقيق النصر الكامل....

هذا غيض من فيض السيرة الدعوية لهذا الرجل العظيم الذي جاهد في الله حق جهاده ،لأنه ماعاش لنفسه وإنما عاش للاسلام وللجزائر، بل وللعالم الاسلامي كله ،وأقل ما نقدمه وقفة تأمل لمساره الجهادي، علّنا نستفيد منه في رسم الطريق لنهضة أمتنا ولخير شعبنا عبر منهج دعوي راشد رشيد في ظل تحديات جديدة.....

ملحق:

دور التغيير والإصلاح للشيخ المجاهد الفضيل الورتلاني في اليمن ، بشهادة دبلماسي يمني

كتاب رياح التغيير في اليمن، شهادة دبلماسي يمني (أحمد بن محمد الشامي) عن نشاط ودعوة الفضيل الورتلاني في اليمن...

من كتاب أحمد بن محمد الشامي، رياح التغيير في اليمن، ط1: 1405هـ-1983م، صنعاء: الجيل الجديد ناشرون، ص 194 و197، 198، 199.

١٦- الفضيل الورتلاني وثورة الدستور (١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م)

وفي اعتقادي أن العالم المجاهد الجزائري السيد الفضيل الورتلاني هو الذي غيّر مجرى تاريخ اليمن في القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)، وأنّه حين وضع قدمه على أرض اليمن كأنّما وضعها على «زرّ» دولاب تاريخها، فدار بها دورة جديدة في اتجاه جديد؛ لأنّ ثورة الدستور سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م هي من صنع الورتلاني!

واقع اليمن حين قدمها:

نعم؛ لقد كانت هناك معارضة في «عدن» ومناشدة بالإصلاح في الداخل، وكان هناك نقد وتبرّم ومنشورات ضد الدولة، وكانت هناك طموحات، وزعامات، وتحفّزات، وكل ذلك يصلح أن يكون وقودا لثورة ما.. ولكن «المعارضة» كانت بلا تنظيم، واتجاهات زعمائها مختلفة ومتباينة، والمناشدون بالإصلاح ودعاة التغيير والتطوير لا توحّدهم رابطة، والنقد والتبرّم غير موجّهين توجيها سياسيا هادفاً بناءً.. والطموحات تتنافس فيما بينها؛ وكل متربص بالآخر، و ينتظر موت الإمام يحيى الذي جاوز الثمانين أو كاد.! والزعامات العلمية والدينية والسياسية قد خدّرها الوهَن، وجمدتها الأطماع؛ والتحفزّات الوطنيّة ليس لها زعماء أكفاء ذو و مؤهلات قيادية.. فلما جاء السيد الفضيل الورتلاني، عمل ما لم يعمله أحدٌ من اليمنيين؛ فوحّد شتات «المعارضة» في الداخل والخارج، وأرشد المطالبين بالإصلاح والمناشدين بالتغيير والتطوير إلى طرق العمل، وجمعهم في رابطة وطنيّة، وقارب بينهم و بين أرباب الطموحات السياسية، والزعامات العلمية والدينية والقبلية والتحفزات الإصلاحية؛ من الناقدين والمتبرّمين، وصهر مجهوداتهم وأهدافهم، واتجاهاتهم وآمالهم وأمانيهم في بوتقة «الميثاق الوطني المقدس».

ولولا الورتلاني لما التقى سيف الحق ابراهيم والزبيري ونعمان، مع عبدالله الوزير وحسين الكبسي والرئيس جمال جميل العراقي، ولما ساهمتْ ولا ابراهيم الحضراني، ومحمد الوريث وأحمد محمد باشا، وحمود الجايفي، وعبدالله السلال، وزيد الموشكي، ومحمد أحمد الشامي وعبدالوهاب الشامي، وحسين المقبلي، ومحمد الفسيل بشيء في صنع وتأييد ثورة الدستور؛ بل ولا كان «الميثاق الوطني المقدس».

فالورتلاني هو مهندس ثورة سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م حقاً!

لقد استطاع بعلمه، وقوة شخصيته.، و بلاغة منطقه، أن يكسب ثقة وتقدير جميع الفئات، بل ومحبتها الصادقة الخالصة.

لقد جسّد فيه اليمنيون ــ بما فيهم الحكّام ــ المثل الأعلى للدعوة إلى الحق، ولم أقابل في حياتي ــ لاقبله ولا بعده ــ من هو أعرف منه بالقرآن الكريم وعلومه، وتفسير آياته واستكناه أسراره وقدرته المنطقية على الغوص في أعماقها، واستنباطه منها ما يحلّل به مشاكل الحياة، دونما تكلّف أو تقعّر، أو اغراق، وفي منطق سهل بيّن يخلب الألباب، إلى استيعاب للأمهات، ومسائل الفقه، واطلاع على تواريخ الأمم، والملل والنحل، والمذاهب السياسيّة والاقتصادية إلى حفظ للأخبار والأشعار والنوادر؟ إلى كرم طبع، وعزّة نفس وسجاحة خلق، و بشاشة وجه، وكان ضخم الجثة كبير الرأس، له أنف شامخ، وعينان ضيّقتان تنفثان نوراً مؤثراً، وصوت مجلجل، ولسان مبين، وشخصية مهيبة لا يسع من ينظر إليها إلاّ أن يجلّها ويحترمها.

لولا الورتلاني ما توحّد الأحرار:

وأنا شخصياً ــ وقد رويتُ في الفصول السابقة قصة حزب الأحرار، واختلاف مؤسّسيه وتمزّقهم، وما نشب بينهم من تباين في وجهات النظر ــ أعترف بأن السيّد الفضيل الورتلاني هو الذي غيّر مجرى حياتي؛ ولوّن سلوكي واتجاهي، واستطاع أن يجمع بيني و بين نعمان والزبيري من جديد! وليس لأنّه اقنعني بسلامة وصحة طريقتهما، بل لأنه أوجد شيئاً جديداً، و وحّد القوى الوطنية وجنّدها لتأييده، وأقنع الزبيري ونعمان، كما اقنعني وأقنع غيري بالإيمان به، في تنظيم سياسي عملي موحّد تحت راية «الميثاق»!

ولولا الورتلاني لما التقى سيف الحق ابراهيم والزبيري ونعمان، مع عبدالله الوزير وحسين الكبسي والرئيس جمال جميل العراقي، ولما ساهمتُ ولا ابراهيم الحضراني، ومحمد الوريث وأحمد محمد باشا، وحمود الجايفي، وعبدالله السلال، وزيد الموشكي، ومحمد أحمد الشامي وعبدالوهاب الشامي، وحسين المقبلي، ومحمد الفسيل بشيء في صنع وتأييد ثورة الدستور؛ بل ولا كان «الميثاق الوطني المقدس».

فالورتلاني هو مهندس ثورة سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م حقاً!

لقد استطاع بعلمه، وقوّة شخصيته.، و بلاغة منطقه، أن يكسب ثقة وتقدير جميع الفئات، بل ومحبتها الصادقة الخالصة.

لقد جسّد فيه اليمنيون ــ بما فيهم الحكّام ــ المثل الأعلى للدعوة إلى الحق، ولم أقابل في حياتي ــ لاقبله ولا بعده ــ من هو أعرف منه بالقرآن الكريم وعلومه، وتفسير آياته واستكناه أسراره وقدرته المنطقية على الغوص في أعماقها، واستنباطه منها ما يحلّل به مشاكل الحياة، دونما تكلّف أو تقعّر، أو اغراق، وفي منطق سهل بيّن يخلب الألباب، إلى استيعاب للأمهات، ومسائل الفقه، واطلاع على تواريخ الأمم، والملل والنحل، والمذاهب السياسيّة والاقتصادية إلى حفظ للأخبار والأشعار والنوادر؟ إلى كرم طبع، وعزّة نفس وسجاحة خلق، و بشاشة وجه، وكان ضخم الجثة كبير الرأس، له أنف شامخ، وعينان ضيّقتان تنفثان نوراً مؤثراً، وصوت مجلجل، ولسان مبين، وشخصية مهيبة لا يسع من ينظر إليها إلاّ أن يجلّها ويحترمها.

رأي محمد الحجري فيه:

وأعترف غير مُجَمْجِم بأن أحداً لم يؤثر في حياتي السياسية والأدبية بل والاجتماعية، كما أثّر فيها أستاذي الفضيل الورتلاني؛ لقد صنعني سنة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م صنعا جديدا، وأوجد مني شخصا آخر لم أكن أعرفه من قبل! ولقد أعاد ثقتي بالإنسان بعد أن زعزعتها التفاهات في «تعز» و«عدن» وأبصرت فيه بل ولمست وجالستُ وحاورت المثل الحيّ للفضيلة التي كنت أقرأها في الكتب، وشاهدت الإخلاص والجهاد والشهامة والقوة والتضحية في إنسان يتحرك ويمشي و يتكلم، وقد اتخذ مني تلميذا طوال بقائه في «صنعاء» ــ عشرة أشهر ــ وقد زار اليمن مرّتين ــ وكان يحضر دروسه ومحاضراته الكثير من شباب صنعاء، واختصّني بعنايته، وكان لا يطيب له وقت لست فيه معه، تكتب أو تقرأ، أو تتحدث، وأجمع على إجلاله واكرامه وتقديره كل علماء وفطاحل اليمن.

ولو استرسلت في ذكر فضائله لأطلت، ولو سردت جلّ ما أعلمه عن حياته وجهاده مع أستاذه عبدالحميد بن باديس في الجزائر، ثم أعماله في فرنسا قبيل الحرب العالمية الثانية ومغامراته، وكيف فرّ منها إلى مصر عن طريق ايطاليا، وتعاونه مع الأستاذ الخضر حسين والشيخ حسن البنا، وسجلت أقواله وخطبه ورسائله لخبرّت مجلداً ضخما، ولن أنسى أن أذكر بأنه زار اليمن وهو في سن الأربعين ــ كما قال لي ــ فولادته إذاً كانت حوالي سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٧م وانتقل إلى جوار الله غريبا مطارداً في تركيا سنة ١٩٥٧م/١٣٧٦هـ.

أحمد بن محمد الشامي ، المرجع السابق، ص 199.

صورة غلاف الكتاب.

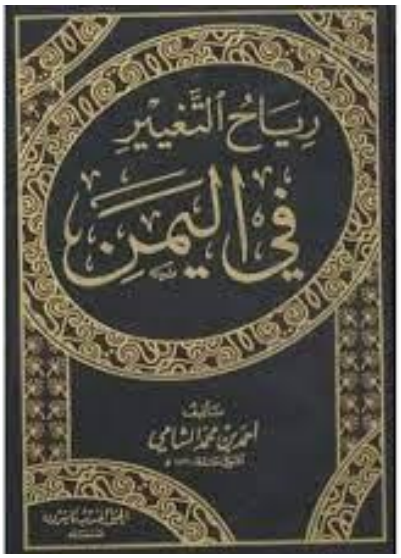

المحور الثالث:

مؤسسات الدعوة الإسلامية في الجزائر:

هي الإطار التنظيمي والهيكلي الذي يقوم على تظافر جهود الدعاة ورجال الإصلاح لتحقيق أهداف الدعوة تربية وارشادا وتعليما....وتقوم على وضع خطط ومشاريع و اعتماد كافة الوسائل المشروعة لتحقيق ذلك...

الجمعيات الدعوية الثقافية:

المحاضرة التاسعة

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (أنموذجا) :

الشيخ ابو اليقظان مع كبار اعضاء جمعية العلماء

– في الصف الاول : جلوسا ، من اليمين الى اليسار : محمد السعيد الزاهري ، العربي التبسي ، البشير الابراهيمي ، محمد ابراهيم الكتاني (من المغرب ضيفا) ، عبد الحميد بن باديس ، الطيب العقبي ، عبد القادر بن زيان ، مبارك الميلي .

– في الصف الثاني وقوفا : محمد العيد آل خليفة ، فرحات الدراجي ، باعزيز بن عمر ، مصطفى حلوش ، محمد خير الدين علي الخباري ، ابو اليقظان . . اخذت هذه الصورة بنادي الترقي حوالي 1934 .

توطئة:

ترتبط جمعية العلماء المسلمين الجزائرين عضويا بما ذكر من جهود مؤسسيها، وخاصة نشاط الدعوة لموقظ الأمة وباعث نهضتها الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس– رحمه الله نعالى–.وقد أدراك الدعاة المصلحون أن الجهود الفردية لا تنفع كثيرا في تبليغ دعوة الحق وما يقتضيه الأمر من جهود في الإصلاح الاجتماعي ، فلابد حتما من تظافر جهود العلماء والدعاة عبر مؤسسات للدعوة ؛ حتى يتسنى لها رد المكائد والمؤامرات الخطيرة التي تحاك ضد أصالة الشعب الجزائري مع ما يعانيه أصلا من أمراض إجتماعية فتاكة.....من هنا جاءت فكرة تاسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ففي عام 1931م أقامت فرنسا احتفالات ضخمة بمناسبة مرور مرور قرن على احتلال الجزائر في سلوك استفزازي معلن، فكان ذلك صدمة أيقضت النفوس فهب العلماء لتاسيس الجمعية كجمعية دينية تربوية تعليمية بهدف: تربية الأمة عقديا ،اجتماعيا، جهاديا ن ولم يكن اعلماء ليعلنوا هدفها الحقيقي حتى لا تتعرض للمنع أو للحل ن وكانت جهود الجمعية أصل وأساس ثورة 1954م التي دفع خلالها الشعب الجزائري أزيد من مليون ونصف من الشهداء...وكان مشروعها سلفي في التركيز على إصلاح عقائد الناس وتخليصها من الشوائب ،مع الأخذ بأسباب القوة علما وعملا.(61)

اللجنة التأسيسة للجمعية:

- الرئيس :عبد الحميد بن باديس.
- نائب الرئيس : محمد البشير الإبراهيمي.
- الكاتب العام : محمد الأمين العمودي.
- نائب الكاتب العام : الطيب العقبي.
- أمين المال: مبارك الميلي.
- نائب أمين المال: إبراهيم بيوض

منهج الجمعية في الدعوة و الإصلاح:

61)- عبد المجيد النجار،مشاريع الإشهاد الحضاري، ط1،بيروت: دار الغرب الاسلامي،1999م، ص93

تُبين أدبيات الجمعية أنها جمعية إصلاح اجتماعي وثقافي وقد أخذت على نفسها الابتعاد عن الخوض في أتون السياسة، حتى يتاح لها مجال العمل التربوي ونشر الوعي الديني والوطني، يذكر (عمار الطالبي) أن منهج التغيير حوالي سنة 1922 أخذ اتجاهين متكاملين: الأول (معلن)العمل على توجيه الطاقات والجهود نحو التربية والتعليم، وتكوين نخبة من الدعاة مدربة على منهاج الدعوة مسلحة بالعلم والمعرفة... ، الثاني: يقوم على أساس الخطاب الشديد يزلزل سلطان البدع المتحكمة ويهدم العادات المتمكنة ويمثل هذا الخطاب: جريدة (المنتقد) وهي اسم على مسمى وكان شعارها : (الحق فوق كل أحد، والوطن قبل كل شيء). وشعار"سعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية".(62) كنوع من المداراة للسلطة الفرنسية حتى لا توقف صدورها، ورغم ذلك لم يصدر منها العدد الثامن عشر حتى أوقفتها السلطة؛ لنها أدركت خطورتها على الوجود الاستدماري، فأصدر الشيخ عبد الحميد بن باديس (الشهاب) لتواصل نفس الرسالة وكان شعارها (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها) وشعار (الحق والعدل والمؤاخاة في إعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات) كما كتب على غلافها، وكتب في أعلى الصفحة أربع كلمات هي: (الحق، العدالة، الأخوة، السّلام) كما كتب أعلى الصفحة الآيتان: ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ – يونس/108– وقوله تعالى:﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ – النحل/125–

وجاء في أول مقال للشيخ عبد الحميد بن باديس عبارة تدل على قوة عزيمته في مواجهة ما يتوقعه من استبداد :" :"تستطيع الظروف تكييفنا ولا تستطيع– بإذن الله– إتلافنا "..... ولكن بعد خيبة الأمل في المؤتمر الإسلامي عام 1936 أصبح الشعار " لنعول على أنفسنا ولنتوكل على الله "..(63)

أخذت الجمعية على عاتقها المحاربة على جبهتين: جبهة الاحتلال الداخلي وجبهة الاحتلال الخارجي.

أولا)– الاحتلال الداخلي: ويتمثل في:

(1 – عمار الطالبي ،م،س، ص 71...73

(63 – نفسه، ص 85 ،86.

1- الطرق الصوفية السلبية أو ما يسمى بالطرقية ،لما تنشره من خرافات وسلبية وتواكل وقدرية مميتة تحشو بها عقول الناس وتخدرهم مما يدفعهم غلى اليأس والاستسلام لقدرهم المحتوم بحكم فرنسا مهما كان، وهو ما كانت السلطة–كما مر معنا– تشجعه.

2- جماعة النخبة أصحاب الفكر المستلب المنبهرين بالحياة الغربية المتشبعين بثقافة المحتل، المعجبين بأسلوب الحياة الأوربية الداعين للاندماج والفرنسة، فرنسة الفكر والعقول والألسنة.

3- الآفات الاجتماعية الخطيرة التي حرمها الدين كشرب الخمر والقمار والدعارة والتبذير، وقد انبرى رجال الجمعية في مقاومة هذا الاحتلال الداخلي الذي اعتبروه أخطر من الاحتلال الفرنسي نفسه (الخارجي).

وقد رسمت الجمعية الخطط لمكافحة هذا الاحتلال عبر الصحافة والخطابة وإنشاء المدارس أي وسائل التربية والتعليم والإرشاد، فشنّت حربا على الفكر الخرافي وما تروج له الطرقية من بدع وأساطيل وبيان زيفها وأهدافها الحقيقية في خدمة الاحتلال الفرنسي، كما وقفت بالمرصاد لدعاة الاندماج، فما كاد ينشر (فرحات عباس) مقاله الذي أنكر فيه الوجود التاريخي للأمة الجزائرية وإعلانه الانسلاخ من وطنيته حتى ردّ عليه الشيخ (ابن باديس) بما أفحمه مؤكدا أن الجزائر ليست فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا ولو أرادت، بل وأصدرت الجمعية فتوى بتحريم التجنّس وبكفر دعاته (64).

كما عملت الجمعية على مقاومة حركة التنصير، بنشر الدعوة، وتنوير الجزائريين بزيف وعود المنصّرين وبتقوية عقيدة الشعب الجزائري مع التركيز على تعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم وتفسيره،(65)ولهذا يقول المؤرخ الفرنسي (شارل روبرت اجيرون C.R Ageron) إن تركيز العلماء على العربية والإصلاح كان لمواجهة الأيديولوجيات الغربية، وبالتالي إنهاء حالة الاغتراب السياسي والثقافي لمجتمعهم ....أما الآفات الاجتماعية فقد عملت الجمعية عن طريق التربية والتعليم ومحاربة الأمية والجهل على توعية الشباب لخطورة هذه الآفات اجتماعيا ودينيا. مع تنبيههم على خطورة ما ينتظرهم من مسؤوليات تحرير وطنهم....

---

(64)1- نص الفتوى منشور بجريدة البصائر عدد 95 السنة الثالثة بتاريخ 12 ذو القعدة 1456هـ/14 جانفي1938 ،ص 2.....عن تركي رابح : الشيخ بن باديس ،م،س ص72....74

(65)- تركي رابح، م،س،ص.269

ثانيا)–الاحتلال الخارجي: أعلنت الجمعية نفسها منظمة يستهدف الإصلاح الديني والثقافي عن طريق التربية والتعليم، لكنها أعطته دلالة سياسية من خلال تطوير الوعي الوطني والذاتية القومية. ولهذا فقد كان الشيخ ابن باديس كما يقول عنه (عمار الطالبي) :" يجمع بين النهضة الثقافية الاجتماعية والنهضة السياسية، بين التربية الإسلامية وبين الصحافة...

وقد تجسّد هذا التوجه من خلال المؤتمر الإسلامي بالجزائر عام 1936بل وصل الأمر إلى التصريح بعزمه إعلان الثورة لو توفرت له الإمكانات اللازمة، وقد كان يزمع تهيئة الأجواء والظروف بالتربية والتعليم حتى تمنح الفرصة لتحقيق الاستقلال وكان يقول: " وهل يمكن لمن شرع في تشييد منزل أن يتركه بدون سقف، وما غايتنا من عملنا إلا تحقيق الاستقلال.!؟؟."(66).

من ذلك كله يمكن أن نعد – بلا مواربة– ابن باديس الأب الروحي للثورة التحريرية، (لأنه لا ثورة دون فكر يؤسس للثورة)، وأما ما تضمنه قانونها الأساسي في الفصل الثالث منه من إعلانها البعد عن السياسة فلم يكن إلا تكتيكًا فقط، لتضمن شيئًا من حرية العمل في تربية النشء وبناء الرجال(بالتربية والتعليم) وهم الذين يعملون لتحقيق الرجال، وهذا ما تنّبه إليه بعض الكتاب الفرنسيين وحذّروا منه(67).

أما الوسائل المعتمدة من طرف الجمعية لتحقيق الإصلاح والتغيير فقد ركّزت على إنشاء المدارس الحرة بالتبرعات الشعبية، استغلال المساجد لتعليم الكبار، ولعل أهم هذه المدارس (مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة) التي أنشأها ابن باديس أوائل العشرينات، كما لعبت الصحافة دورًا هامًا في نشر الوعي الديني والسياسي وقد أشرنا إلى صحيفة المنتقد ثم الشهاب والبصائر عام 1935، كما اعتمد على إنشاء النوادي والجمعيات والمراكز الثقافية في إلقاء محاضرات التوعية والتثقيف(68)ورغم نحوله الجسدي فقد كان بن باديس شيخًا نشطًا لا تفتر

---

(66)3 – عمار الطالبي ، ابن باديس حياته وآثاره،م،س،ص88 ،89 .

(67)1 – أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ،ج2،م،س،ص420.

(68)– ن م ، ص ، 422-423

همته في السفر والاتصال المباشر بالجماهير وتحسّس مشاكلهم وتبليغهم مبادئ الإصلاح، حتى يقال أنه زار معظم المدن الجزائرية شرقا وغربا، إلى درجة أنه خلال سنة واحدة زار أكثر من خمسين مدينة(69).

فجهود الجمعية هي امتداد حضاري لجهود تيار الجامعة الإسلامية في المشرق بقيادة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، وما كان يصل الجزائر من منشورات وكتب ومجلات(خاصة العروة الوثقى)، أما عن أثر الجمعية فيتأكد لنا أنه لولا جهود رجال الجمعية وعلى رأسهم مرشد الأمة الشيخ ابن باديس لما حافظ الشعب على هويته الإسلامية العربية ؛ لما تعرض له من عمليات مسخ وفسخ عبر احتلال استيطاني بشع، فأرضية الثورة التحريرية كانت الجمعية قد هيأتها بزرع الوعي العميق بالذات والإدراك التام للواقع.

المشاركة في المؤتمر الإسلامي الجزائري 1936: في الثالث من يناير 1936 دعا الإمام عبد الحميد بن باديس على صفحات جريدة الدفاع التي كان يصدرها (الأمين العمودي) جميع الأحزاب الجزائرية والهيئات والمنظمات إلى مؤتمر إسلامي لتقديم مطالب الجزائريين إلى السلطة الفرنسية،... وقد لقيت دعوته ترحيبا واسعا لدى الهيئات والمنظّمات آنذاك.

انعقد المؤتمر بالملعب البلدي بالعاصمة يوم الأحد 7 يونيو من نفس العام اشترك فيه جماعة النواب من دعاة الاندماج، الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي وشخصيات وطنية مستقلة فيما عدا نجم شمال إفريقيا وقد كان هذا المؤتمر من الأهمية حيث وصف الشيخ الإبراهيمي يوم انعقاده بيوم الجزائر المشهود،

وقد اعتبر المؤتمر منعطف هام في منهج الجمعية في التغيير والإصلاح ، لأنها كانت تتفادى من قبل – كما سبق ذكره – الإشارة إلى كلمة (سياسة) في قاموسها اليومي. .(70) وهذا الموقف من الجمعية قد فتح عليها بابا من النقد الشديد، حيث اخذ عليها البعض تورطها في أسواق السَّياسة بما تحمله من ديماغوجية، والانحراف عن منهجها الأصيل في التربية والتعليم. أي رسالتها الثقافية، كما اخذ عليها تحالفها مع دعاة الاندماج.....(71)

---

(69)-ن م ، ج3، م،س، ص 90

(70)- ن م ،ص 161 162

(71)- ن م ،ص،163

وكان من أبرز رجال هذا المناخ الإصلاحي الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس،أو ((مرشد الامة)) –كما كان يسمى– الذي تعاهد مع ثلة من العلماء على تفعيل العمل الاصلاحي والتحرك الايجابي الفعّال لنشر الوعي والاصلاح الديني والثقافي ؛لأنهم أدركوا أن الشعب الجزائري مصاب إضافة الى الاستعمار الخارجي باستعمار أشد خطورة وأكثر فتكا بالجسم الجزائري العليل ،ألا وهو جراثيم الخرافية التي تمثل بحق الاستعمار الداخلي الفتاك وهو الذي يتقبل الاستعمار الخارجي بل ويستدعيه استدعاء.

والعمل في هذا المجال ،رغم صعوبة المهمة وما يتطلبه من طول نفس ومصابرة واصطبار ،من شأنه أن يهيء الارضية ويبني القاعدة الصلبة التي ستكون صواعق الثورة فيما بعد ....رغم إعلانها في قانونها الاساسي البُعد عن السياسة ،وحصر نشاطها في الجانب التربوي التعليمي ،إلا أن ذلك كان مجرد تكتيك من رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،لتضليل المستدمر الفرنسي(وهو من مقتضيات الحكمة في الدعوة) ؛إذ أن الهدف الاستراتيجي انما كان تحقيق استقلال الجزائر ؛ لأن بناء الرجال بالتربية والتعليم هو المرحلة الاولى التي ستهيء أرضية للوعي والاحياء الذاتي التي يستحيل أن يقبل بعدها الشعب الجزائري أن يكون مصيره بيد غيره....وقاعدة ذلك هي السنة القرآنية في التغيير وكانت شعار الجمعية (إنّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم) (الرعد /11)،وهذا ما صرح به الشيخ ابن باديس ،نفسه،عام 1936م حين قال :<<وهل يمكن لمن شرع في تشييد منزل أن يتركه دون سقف ،وما غايتنا من عملنا الا تحقيق الاستقلال >>.72....ولم يكن ذلك بخاف على مراصد الاستدمار ،فقد تنبه له بعض الكتاب الفرنسيين فأعلن أن سياسة الجمعية هي في بناء الرجال المؤهلين ،في مرحلة ما ،لإعلان الجهاد المسلح ضد الوجود الفرنسي"73.

من أهم وسائل الاصلاح عند الجمعية الصحافة،،،الجرائد

أهمّ جرائد الجمعية:

72) – عمار الطالبي ،م،س،ص88،89

73)– أبو القاسم سعد الله،م،س،ص420

1. جريدة السنة النبوية المحمدية : صدر أول عدد منها في الثامن من ذي الحجة عام 1351هـ الموافق للعاشر من أفريل سنة 1933 م أي بعد سنتين من تأسيس الجمعية وما صدر منها إلا 13 عددا حتى أوقفتها السلطات الاستعمارية ، فكان آخر عدد يوم 1 ربيع الأول سنة 1352 هـ الموافق لـ 03 جويلية 1933 م.
2. جريدة الشريعة النبوية المحمدية : طبع أوّل عدد منها يوم الاثنين 24 ربيع الأوّل 1352 هـ الموافق لـ 17 جويلية 1933 م واستمرت حتى عددها السابع يوم الإثنين 7 جمادى الأولى 1352 هـ الموافق لـ 28 أوت 1933 م أين جاء قرار تعطيلها ، قد واكبت هذه الجريدة بداية السنة الثالثة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين كما بيّنه العدد الأوّل منها الذي ذُكر فيه خطاب الرئيس في الاجتماع العام الثالث لجمعية العلماء .
3. جريدة الصراط السوي : صدر أول عدد يوم الإثنين 21 جمادى الأولى عام 1352 هـ الموافق لـ 11 سبتمبر 1933 م وصدر منها 17 عددا حتى 22 رمضان 1352 هـ الموافق لـ 8 جانفي 1934م.
4. جريدة البصائر : بعد توقيف جريدة اللصراط السوي أعادت الجمعيّة طلبها الرخصة القانونية بإصدار جريدة تكون لسان حالها. وبعد مدة ليست بالقصيرة أذنت لها الإدارة الاستعمارية بإصدار جريدة "البصائر" ، وذلك في 01 شوال 1354 هـ الموافق لـ27 ديسمبر 1935 م وقد أشرف عليها الشّيخ الطيب العقبي من أول عدد لها 27 سبتمبر 1935 م إلى العدد 83 الصادر في 30 سبتمبر 1937 م، حين تحولت إدارة تحريرها من العاصمة إلقسنطينة، وعين المجلس الإداري لجمعيّة العلماء الشّيخ مبارك الميلي مديرا ومحررا لها خلفا للشّيخ العقبي إلى أن توقفت بسبب الحرب عند العدد 180 الصادر في 25 أوت 1939 م. وتعد جريدة البصائر الجريدة الوحيدة التي بقيت تصدر بعد وفاة الشّيخ ابن باديس) من بين الجرائد التي أشرف على إصدارها) حيث عادت إلى الصدور بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية من عام 1947 م إلى غاية 1956 م ، بإشراف وإدارة رئيس الجمعيّة الثاني الشّيخمحمد البشير الإبراهيمي ، وقد بدأ صدورها يوم 25 جويلية 1947 م، ولكنها لم تلبث أن توقفت عن الصدور مجددا من طرف المشرفين عليها سنة 1956 م، بسبب احتدام الثورة التحريرية وتأزم الأوضاع.

وقد رمت الجمعية بكل ثقلها في سبيل نشر الوعي بالتربية والتعليم عن طريق الخطب والمواعظ والتعليم المدرسي والصحافة والمحاضرات والندوات ...والاحتكاك المباشر بالمجتمع، على رأسهم مرشد الامة الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي كان لا يقر له قرار ،دائم السفر والتجوال في أنحاء البلاد شرقا وغربا ،فكان نموذجا للداعية المصلح الملتحم بواقع الجماهير ومعاناتها 74 ،خلافا لجماعة الاندماجيين أو جماعة النخبة،الذين كانوا يتحدثون عن معاناة الشعب من بروجهم العاجية،وهو أمر طبيعي من جماعة تتنكر لتاريخ أمتها وتجحد ثقافتها.

ومن هنا يمكن القول أن ثورة التحرير الكبرى كانت نتاج الأرضية التي مهّدها علماء الاصلاح ،بما جسدته لقيم الجهاد ؛ لأن الفكر الثوري التحريري ،إنما كان ثمرة جهود هؤلاء بما يحمله من وعي عميق بالذات وادراك للواقع،،،،فيظهر بذلك تهافت القول بأن الثورة تنحصر في تدبير جماعة من أصحاب الثقافة الفرنسية و التوجّه العلماني ،لأن هذه الثورة كانت ثورة الشعب المهيّأ سلفا من قبل جهود المصلحين ممن ذكرنا ،وكان هذا الاعداد النفسي والذهني هو الاساس الذي مكّن من تفجير الثورة ،ودفع بالشعب ،الى الالتحام بها ،والتضحية في سبيل وطنه بكل شيء ،والدافع الديني كان الاساس في ذلك وهو ما أدركه ذلك البطل المجاهد حين دعا لالقاء الثورة الى الشارع ليحتضنها الشعب ،،،وهو ماصدّقه الواقع حتى أصبحت زوجة الخائن تأخذ ذخيرة زوجها وترسل بها مع الرعاة الى المجاهدين!! .(75)...

ولا أدلّ على انضباط الثورة بتعاليم الشريعة من حرص قادتها على تعاليم الدين الحنيف ومعاقبة كل من اقترف محرما ،كالزنا وشرب الخمر .....إدراكا من قادتها أن أي انحراف عن الدين من شأنه رفع السند الالهي فتختل حينئذ موازين القوة لصالح الاستدمار الفرنسي لأنه الاقوى عدة وعددا ،ويروي المجاهدون في ذلك أحداثا كالاساطير تبرز عناية الله تعالى بالمجاهدين ونصره لهم ،،باعتبارهم مجاهدون في سبيله ملتزمون باحكامه ،يقول أحد قادة الجهاد : << لقد تعلمنا من قادتنا الاوائل بن بوالعيد،بن المهيدي، وبوقرة، وعميروش ، والحواس و لطفي و زيغود وغيرهم،وغيرهم أن حبّ الوطن من الايمان وأن حمايته والدفاع عنه شرط من شروط الحضوة برضى الله تعالى. >>76 .

---

74)- نفسه،ج3،ص90..ويُذكر أنه زار خلال سنة واحدة أكثر من خمسين مدينة.!!

75)- الرائد لخضر بورقعة، شاهد على اغتيال الثورة، تحرير صالح بخوش ،ط2،الجزائر:شركة دار الامة،2000 ص222

76)- نفسه، ، ن،ص.

ولذا يمكننا القول أن الجمعية بعلمائها ودعاتها قد قامت بدور عظيم وريادي في: نشر الوعي الديني والثقافي بين أفراد الشعب الجزائري ،الذي كان يعاني الامرين (إستعمار خارجي بشع، واستعمار داخلي ابشع)،كما قامت بدور سياسي لتنوير الرأي العام ودفع الشعب للثورة على أوضاعه البائسة،،،،وعلى هذا الأساس قمت ثورة التحرير المباركة .

المحاضرة العاشرة:

الزوايا:

دور الزوايا في الدعوة الاسلامية في الجزائر:

زاوية الهامل نموذجا

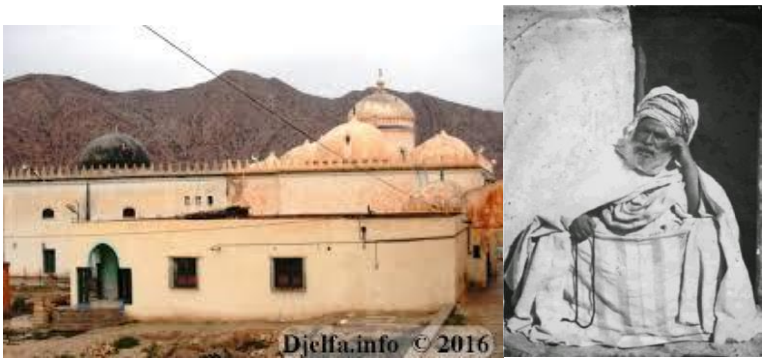

تمهيد:

من العوائق الموضوعية التي كثيرا ما تعتري البحوث والدراسات: وقوع أصحابها ضحية بعض الأحكام النمطية الخاطئة ، التي تتوارثها الأجيال دون أن تعرض على التمحيص والبحث التاريخي المنصف،،،،وهوما يوقع في مآزق الاحكام المسبقة المتأثرة بالذاتية المتنافية مع مقتضيات المنطقية الموضوعية اللازمة في البحوث العلمية.....

من الأمثلة الهامة الحكم النمطي على الزوايا الذي تلفه السلبية وسوء الظن ؛باعتبارها مؤسسات وجدت خصيصا لنشر الخرافية وبث القدرية والتعطيلية وزرع الجبرية والاستسلامية، وهو ما يعني تكريس السلبية فكرا وممارسة.... ما يستدعي –للإنصاف التاريخي–إعادة البحث الموضوعي بعيدا عن كل الاحكام الجزافية السابقة،،،رغم أن عدم تبرئة الكثير من الأخطاء التي وقعت وحاول البعض إصلاحها ، كما كتب الشيخ محمد السعيد بن زكري–وهو من أبناء الزوايا– كتابه:"أوضح الدلائل في إصلاح الزوايا ببلاد القبائل"، وهوما فعله الشيخ: محمد الطاهر الجنادي، والشيخ: البوجليلي، وغيرهم...(77)

يشير الدكتور البحّاثة (أبو القاسم سعد الله) إلى الدور الإيجابي العظيم الذي قامت به كثير من الزوايا في المحافظة على قيم شخصية المجتمع الجزائري (الدين واللغة)و في نشر الدعوة و بث روح الوعي الديني بين الرجال والنساء على حد سواء وبقيت الكثير منها– كما يقول– :" المحضن الأساسي لفكرة الإصلاح والنهضة" .(78)..وتعرضت لاضطهاد السلطة الاستدمارية ،ويذكر منها زاوية الهامل (بوسعادة) أولاد جلال(بسكرة)، ،زاوية زواوة (بلادالقبائل)،وترجع للطريقة الرحمانية، وزاوية قصر البخاري،الطريقة الشاذليةورغم الاضطهاد بقيت تقاوم مكائد الاحتواء الاستدماري.(79) ..كما توجد بعض الزوايا كان لها دور كبير في نشر الخرافات والفكر السلبي كالعيساوية والحنصالية(80)

77–راجع أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،بيروت : دار الغرب الاسلامي،ج7 ، عام 1998م،،،م، س، ص163 ،164.

78–نفسه،ج 3، ص ،33، 34 ،

79)–نفسه، ص ص: 32، 34

80)–أبو القاسم سعد الله، م،س، ج 3، ص171

انتشرت الزوايا بشكل واسع في الجزائر في ق17،،خاصة خلال القرن 19 ومطلع القرن 20 م ،كرد فعل على ممارسات الاستدمار الفرنسي من جهة (في محاربته للدين واللغة)،ورغبة من العلماء الغيورين على إنماء الروح الدينية في النفوس وإيقاظها في العقول.(81)

– الدور الدعوي لزاوية الهامل:

– الزاوية في اللغة : ركن البيت، والمقصود بالزاوية : مكان خاص بالعبادة والذكر، وتربية المريدين على حياة الذكر والزهد، ،يتلون فيها القرآن ويتدارسونه بينهم ويتعلمون فيه علوم الشريعة ،تحت إشراف شيخ عالم عارف،يتدرج بهم على طرق المجاهدة للنفس والشيطان...

زاقوية الهامل نسبة الى قرية الهامل وتقع بالجنوب الغربي من بوسعادة،تبعد بحوالي 300كلم جنوب العاصمة،وتعتبر منطقة اغلهامل البوابة الوسطى للصحراء الجزائرية الكبرى ، وموقع الزاوية هو على الطريق الكبير الرابط بين مدن الشمال قسنطينة والعاصمة وبلاد القبائل ،ومدن الجنوب باتجاه الجلفة والاغواط وغرداية نتقرت وورقلة...

وبنيت الزاوية على سفح جبل في الناحية الغربية من القرية ،تحوطها من الجنوب مجموعة من القمم الجبلية وهي تطل على القرية مما يحقق لها العزلة الضرورية للتأمل والعبادة،كما لا يبعد بها كثيرا عن القرية ليسهل قصدها لأصحاب الحاجات،،

كما أنها بنيت قرب واد قام مؤسسها الشيخ محمد بن أبي القاسم باستصلاح أراضيه واستغلالها في الزراعة ،،(82).

وقد كان مؤسسها الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم المولود عام 1823م/1239هـ من علماء المنطقة ،ممن عرف بالتقوى والورع وحب الخير للناس جميعا والزهد في الدنيا والضلوع في علوم الشريعة،،،تربى بدوره في زاوية الشيخ علي الطيار(البيبان)ثم انتقل عام 1838م الى زاوية زواوة من آقبو حفظ فيها المتون وأتقن

81-)-يحي بوعزيز،((أوضاع المؤسسات الدينية خلال القرنين 19و20)) ،الجزائر : مجلة الثقافة،ع 63، ماي1981م،ص25

82)- محمد بن الحاج محمد بن أبي القاسم، الزهر الباسم في ترجمة الامام محمد بن أبي القاسم، تونس:،المطبعة الرسمية ، 1304هـ،ص55

القراءات .وبقي في بلادج القبائل 8 سنوات،قام بدور كبير في نشر الوعي الديني بين سكان بلاد القبائل ينصح ويعظ ،،ثم أجازه شيخ الزاوية في الرجوع الى بلدته الهامل ليؤسس بها الزاوية المشهورة .(83)

– دوافع تأسيس الزاوية:بعد مكوثه 14 سنة بقرية الهامل مرشدا معلما بجامع التوتة، قررالشيخ محمد بن أبي القاسم عام 1862م إ نجاز الزاوية ،لعدة أسباب منها :

1–نزايد عدد الطلبة الذين الحوا عليه تخصيص مكان لتعليمهم ، وقد بلغوا 80 طالبا.

1 –وصية شيخه أبي داود بزاوية زواوة،

2 – وصية قدمها حسب بعض الروايات الأمير عبد القادر لمحمد بن أبي القاسم في لقاء جمعهما عام 1844م، رغبة من الأمير في بث الوعي الديني في نفوس الشباب للإعداد الجهادي،(راجع المحاضرة الثانية :الامير عبد القادر) وهو ما يؤكده محمد علي دبوز في كتابه نهضة الجزائر.ويقال أن الشيخ طلب من الامير السماح له بالالتحاق بالمقاومة والجهاد، فحثه على البقاء للتعليم وتربية الأجيال.....

3 – تردي الوضع الاجتماعي والاقتصادي والعلمي والخلقي والديني في منطقة الهامل، نتيجة لمخططات الافساد الاستدمارية.

83)- نفسه،ص70

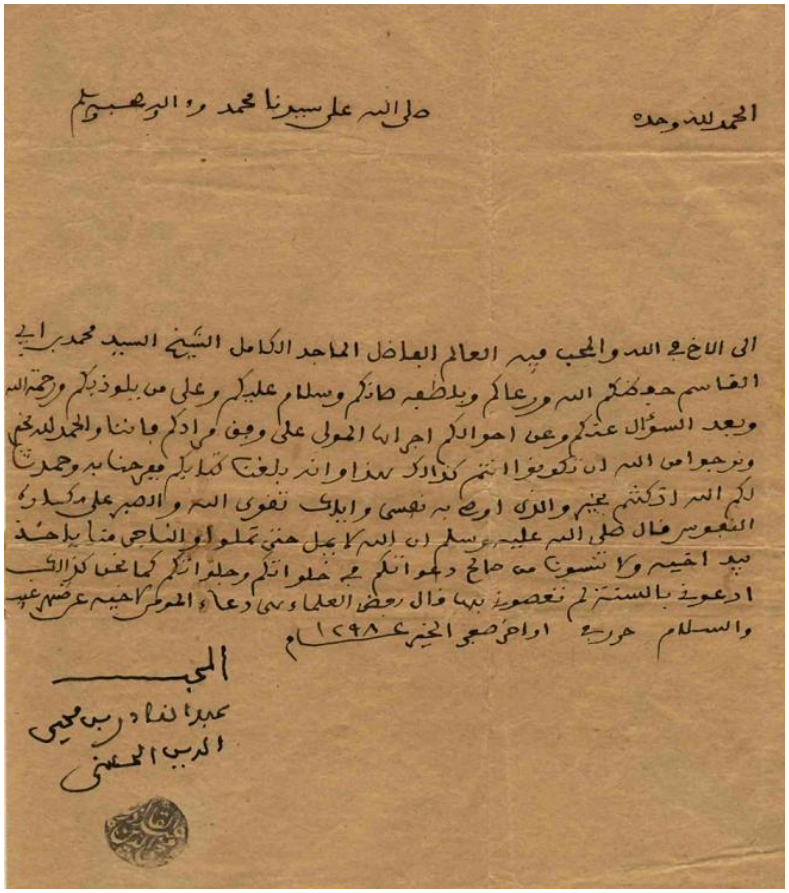

الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الى الاخ في الله والمحب فيه العالم الفاضل الماجد الكامل الشيخ السيد محمد بن ابي القاسم جعلكم الله ورعاكم ولطف بكم وسلام عليكم وعلى من يلوذ بكم ورحمة الله وبعد السؤال عنكم وعن احوالكم اجرانا المولى على وفق مرادكم فالحمد لله نحن ونرجو من الله ان تكونوا انتم كذلك وهذا وانه بلغنا كتابكم ففرحنا به وحمدنا لكم الله اذ كنتم بخير والذي اوصيكم به نفسي وايلك تقوى الله والصبر على مكاره الدهر وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا والناجي منا ياخذ بيد اخيه ولا ينسى من حاجة دلهم انكم لن تملوا ان تملوا كما نحن كذلك ادعوني بالسنة لم نعصوني بها قال بعض العلماء وهي دعاء المرء لاخيه عن ظهر غيب والسلام حرر في اواخر صفر الخير عام ١٢٩٨

المحب

عبد القادر بن محيي

الدين الحسني

(نسخة لرسالة الأمير عبد القادر بخطه إلى محمد بن ابي القاسم مؤسس زاوية الهامل...)

– بناء الزاوية وأهم مرافقها:

نظرا لتوفر الإرادة والدافع الروحي ،فقد تم بناء معظم مرافق الزاوية الضرورية في مدة وجيزة، بدايت من 1862م وتم تدشينها في رمضان عام 1863م،ثم ايتكملت باقي المرافق لاحقا، وقد ساهم الاهالي في أشغال البناء،،وكان تمويل البناء من مال عائلة الشيبخ وتبرعات الأهالي.

مرافق الزاوية،

تمثلت في :

- **المسجد ،وكان واسعا تقدم فيه الدروس وتنشر في الدعوة والوعي الديني،،،**
- **بيت الضيافة:مخصص لعابري السبيل ومن يفد من الزوار سواء من المسلمين أو من الكفار(تأليفا لقلوبهم) ،،،**
- **بيوت الطلبة: غرب المسجد وهي غرف صغيرة لمبيت الطلبة،تسمى "عشّة".**
- **منازل المريدين:خاصة بالفقراء و المساكين ومن لا مأوى لهم ،،،**
- **المطبخ(النوالة).**
- **المطعم: ساحة فسيحة لتناول الطعام.**
- **المكتبة، تقع مقابل المسجد .**
- **حي المقارنة: حي أقامه الشيخ لعائلة المقراني بعد ثورة 1871م.**
- **منزل العائلة: مقر إقامة الشيخ وعائلته.....**

إضافة الى ذلك أنشأ الشيخ عدة بساتين ومزارع لتقوم بإطعام المريدين والضيوف ،،،

النظام الداخلي للزاوية يقوم على الشيخ وهو رئيس ومدير الزاوية له سلطة علمية وروحية،يستشار في الامور ،وهو المسير المفتي ..

الخليفة: نائب الشيخ.

المقدم:أو المقاديم،يكلف بنيابة الشيخ أو الخليفة، وتبليغ أوامر وتوجيهات الشيخ والاشراف على تنفيذها، ومراقبة التلاميذ في سلوكهم وأخلاقهم ،واتزامهم العلمي والشرعي،،،،(84)،

الوكيل: القائم بالشؤون الاقتصادية، أمين مال الزاوية.

الشاوش:يقوم بالاشراف على النظافة وتوجيه الزوار الوافدين.

---

84)- محمد بن الحاج، م،س، ص 47

– الدور الثقافي الدّعوي لزاوية الهامل:

أولا)– النشاط العلمي والثقافي:للزاوية نوعان من التعليم: عام وخاص

– التعليم العام:وهو الموجه للناس كجزء من النشاط الدعوي العام ،ويتمثل في تلك الدروس والمواعظ التي يقدمها الشيخ وخليفته وبعض المبرزين من طلبته ،أومن الاساتذة الزائرين،كما تتمثل في دروس العقيدة و الفقه والتوجيه الخلقي، كما قد يدعى من الاساتذة من خارج الزاوية من يلقي من العلماء درسا أو خطبة في ساحة المسجد،وخاصة في المناسبات الدينية خاصة في احتفالات المولد،وليلة 27 رمضان،...وقد كان لمثل هذا التعليم دور هام جدا في المحافظة على سلامة عقيدة الناس وتمسكهم بقيمهم الدينية،،،والوقوف ضد مخططات الادارة الاستعمارية.

التعليم الخاص: أي النظامي الذي يقوم على االتزام من طلبة مسجلين يجتازون فيها مراحل مخصوصة،منظمة ،وله أوقات محددة،هو شبه مدرسي، يقوم على قسمين:– قسم لتحفيظ القرآن ،وهي مرحلة إجبارية،أساسها اللوح والقلم،والدواة،وفق الطريقة التقليدية، تحت إشراف شيخ معلم للقرآن....– قسم علوم الدين : ويقوم بتدريس مختلف علوم الدين واللغة العربية الى جانب علوم مكملة كالفلك،الحساب،التاريخ المنطق...

مراحل الدراسة:يمر الطالب بثلاث مستويات:

– المرحلة الإكمالية:يركز فيها على حفظ المتون، والشروح .

– المرحلة الثانوية:وتقوم على الشروح وشروح الحواشي،ويتوسع أكثر فأكثر في تلقين الطلبة كتب العلم وشروحها، ويرخص للمبرزين منهم تدريس المبتدئين،

– المرحلة العليا:تشمل كبار الطلبة، أو النظارون،الأعلى مستوى ، وأبالغ في الدرجة العلمية،ممن تحصلوا على إجازة الشيخ،ويشرف الشيخ على إعدادهم العلمي ليصبحوا شيوخا بدورهم...

– منهج التدريس: يقوم أساسا على التلقين والحفظ،يدرس فيه الطلبة علوم القرآن والحديث، تفسير القرآن،الفقه وأصوله،،اتقان علوم اللغة،البلاغة ،،،،،ويقوم ذلك على مبدأ التدرج من السهل الى الصعب، من البسيط الى المركب، مع مراعاة مقدرة الطلبة ومدى استيعابهم،،،

ففي المرحلة الاولى يدرس الطلبة في اللغة:الآجرومية في النحو، في المرحلة الثانية،يدرسون قطر الندى، وفي المرحلة العالية يدرون ألفية إبن مالك ،،،وكذا بقية العلوم الشرعية.

وأسلوب التدريس أسلوب تقليدي حيث يجلس المعلم ويتحلق حوله الطلبة لتلقي الدروس ...

– شروط الالتحاق بالدراسة في الزاوية: أهمها : كل مسلم يمكنه الالتحاق بالزاوية للدراسة،لكن الاستمرار يتعلق ب:

1– حسن السيرة والاخلاق.

2– حفظ القرآن الكريم.(85)...

وكان الإقبال على الدراسة بالزاوية كبيرا جدا ،حتى يورد سعد الله أن عددهم بلغ نحو ألف طالب،،،(86) وقد كان للزاوية نظاما داخليا تضمنت بعض العقوبات للمخالفين أو الين يرتكبون بعصض المعاصي،لردعهم وردع غيرهم،،، نشير الى أن الزاوية قد خرجت كثير من العلماء الكباروالمفتين والدعاة والمصلحين ممن رفعوا راية الدعوة في بلاد الجزائر، ذكر بعضهم أبو القاسم سعد الله (87).

ثانيا)– النشاط الاجتماعي:إضافة لدورها التعليمي التربوي إضطلعت الزاوية بدور إجتماعي هام جدا،كجمعية خيرية كبرى،للبر والإحسان ،وذلك من خلال :

- **قيامها بدور الحاض والملجأ الآمن للأيتام والفقراء والمساكين،وشكلت محطة لعابري السبيل .**
- **شكلت قبلة للمتخاصمين، لإصلاح ذات البين بينهم.حيث عدها الناس محكمة شرعية لا رد لحكمها في منازعاتهم.**
- **شكلت مركزا للمحافظة على تقاليد وعادات المجتمع للربط بين أفراد المجتمع في مواجهة سياسة المسخ الخلقي التي تقودها فرنسا .**
- **العمل على إحياء قيم التعاون، بما عرف في ذلك الوقت بالتويزة،لكل من أراد بناء منزل أو فلاحة أرضه وأعوزته الامكانات المادية،،،،**

---

85)– محمد علي دبوز، م،س، ص 69، أنظر أيضا: أبو القاسم سعد الله، م،س،ج3،ص330

86)– أبو القاسم سعد الله، م،س، ص221

87)–م،س،ص221

- العمل على جمع الصدقات والزكوات وتوزيعها على الفقراء والمساكين،،خاصة في شهر رمضان.
- العمل على تحصين الشباب بالزواج الجماعي مع تخفيف تكاليفه.

وقد كان لزاوية الهامل – من خلال ذلك – دورا هاما جدا في :

1– التخفيف من معاناه الشعب الجزائري.

2–قطع الطريق أما م الجمعيات التنصيرية للقساوسة المسيحيين.

3–إحياء روح الوحدة والتضامن الاجتماعي.

4–قطع دابر الفرقة والتخاصم والعداء بين الإخوة.،أفراد المجتمع الواحد.

مدّ المجتمع بالعلماء والمرشدين والدعاة ممن حملوا مشعل الدعوة والإصلاح في أنحاء الجزائر المختلفة شرقا وغربا.....

والله وليُّ التوفيـــــــــــــــق.....

كتبها الفقير إلى عفو ربّه ، الذي يرجو منكم الدعاء له بظهر الغيب.....

البشير قلاتي (عفا الله عنه)

أهم المراجع:

- أبو القاسم سعد الله،الحركة الوطنية الجزائرية،ج2،ط3،الجزائر:ش،و،ن،ت،1983
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3،وج 7 ، ط1،بيروت:دار الغرب الاسلامي ،1998م.
- تركي رابح،التعليم القومي والشخصية الجزائرية،ط2،الجزائر:ش ،و،ن،ت،1981م.
- عبد الرحمن بن خلدون،تاريخ العلامة ابن خلدون،ج1،دط،بيروت:دار الكتاب اللبناني.
- عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس،ط1،بيروت:دار الشهاب1999
- مالك بن نبي ،دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين،بدمشق: دار الفكر
- مالك بن بني ، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر كامل سقاوي،د،ط، دمشق: دار الفكر1406هـ/1986م
- مالك بن نبي ، مذكرات شاهد للقرن مالك بن نبي ،م،س،ص الطفل الطالب ،ط2 ،الجزائر ودمشق :دار الفكر 1404هـ/1984م.
- مصطفى الاشرف،الجزائر،الامة والمجتمع،دط،الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب،دت.
- محمد تقي المدرسي،البعث الاسلامي، دط، البداية للنشروالتوزيع،1407هـ/1987م .
- د.محمد ناصر بوحجام، الشيخ بيوض و العمل السياسي، المطبعة العربية، غرداية، 1412هـ/ 1991م
- يحي بو عزيز ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، دار الغرب الإسلامي ، ج 2 بيروت ، 1995
- برونو إتيين، عبد القادر الجزائري،ط2،الجزائر:المؤسسة الجزائرية للاتصال والنشر والاشهار،2001
- الامير عبد القادر، بُغية الطالب على ترتيب التجلي بكليات المراتب،ط1، بيروت:دار الكتب العلمية، 1425هـ/ 2004م
- الفضيل الورتلاني،الجزائر الثائرة، ط3،الجزائر:دار الهدى،1992م
- أنور الجندي – الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا – الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة – 1385 هـ1965.
- زكي محمد مجاهد – الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية ،دار الغرب ، بيروت ، 1994م.
- محمد كرد علي – المعاصرون – دار صادر – بيروت – 1413هـ- 1993م.
- _عمر بن قينة، أعلام و في الفكر والثقافة والادب ،دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق2000...